



آزادی از جنگ استوئیس



Princeton University Library



32101 073528125

VAR 88 49.

وزارة الإرشاد القومي
مصلحة الاستعلامات

United Arab Republic. Maṣlahat al-Itidāmāt.
"

أسرار حرب السويس

٢٩ - أكتوبر ١٩٥٦
٥ - نوفمبر ١٩٥٦

(Arab)

DT107

83

A3915

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إن المعركة المجيدة مكّنت شعبنا من
أن يكتشف قدراته وإمكانياته .
وبالتالي يوجّه هذه القدرات
والإمكانيات ثورياً لتحقيق الحرية . »
جمال عبدالناصر

إن شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار
فاز بأرغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين
في عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل في نضالنا الوطني
إن الاستعمار الذي جلا عن أرضنا - طبقاً لاتفاق
تم تنفيذه في يونيه سنة ١٩٥٦ - ما لبث أن عاد في
أكتوبر من نفس العام متصوراً أنه قادر على
إخضاع إرادة شعبنا وإذلاله وإجباره على
الركوع خضوعاً لإرادة المستعمرين

إن شعبنا الذي عقد العزم على حماية استقلاله
ورفض كل الحيل الاستعمارية التي حاولت أن تجره
إلى مناطق النفوذ وقاد مقاومة هائلة في الشرق
الأوسط كله ضد حلف بغداد حتى أسقط ثم يتردد
في مواجهة العدوان المسلح الثلاثي الذي أقدمت
عليه اثنان من دول العالم الكبرى زحفت عليه من
القاعدة الاستعمارية التي خلقتها المؤامرات المرامية إلى
إرهاب الأمة العربية وتمزيقها وهي إسرائيل
إن الاستعمار في معركة السويس كشف نفسه
وكشف قواعده وكشف أعوانه "الميثاق"

أسرار حرب السويس

غروب يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ وضوء النهار يتضاءل ويشحب فوق سيناء ، لينتهى يوم آخر عادى لم تتخلله أحداث مثيرة اللهم الا ملاحظة سجلتها شاشات الرادار المصرية أضافتها الى ما كانت تسجله منذ بداية أكتوبر .

فمنذ بداية أكتوبر كانت محطات الرادار المصرية بسيناء تسجل حركة متزايدة للطائرات على الجانب الآخر من خط الهدنة ، فى داخل اسرائيل . . وفى يوم ٢٩ أكتوبر التقطت شاشات الرادار صورة ست طائرات اسرائيلية من طراز مستير وهى تخترق سماء سيناء . . وبعد غروب الشمس بساعات قليلة جاءت الأحداث المثيرة .



تحركت قوات اسرائيلية بأعداد كبيرة فى اتجاه الحدود الأردنية . ثم سرعان ما حولت اتجاهها نحو صحراء سيناء بينما كانت قوة أخرى من المظلات الاسرائيلية تهبط فى جوف سيناء بعيدا عن خط الهدنة فوق ممر متلا المصرى .

كان معنى ذلك أن اسرائيل بدأت عسكريا ضد القوات المصرية فى سيناء .

وبعد غروب ٢٩ أكتوبر بخمسين ساعة وأيضا بعد غروب الشمس بساعات قليلة . جاءت أحداث أخرى . . ولكن مكانها هذه المرة كان فى سماء القاهرة ليلة ٣١ أكتوبر - وبدأت فى ضرب المطارات المصرية بالقنابل . ووضح كل شيء . . كانت مصر أمام العدوان . . تواجه حربا تشنها ثلاث دول . . تلك كانت البداية الواضحة للعدوان الثلاثى على مصر . . لكن ؟

هل كان يوم ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ هو البداية الحقيقية لحرب السويس هل كانت بداية العدوان ليلة اجتياز القوات الاسرائيلية لحدود سيناء ؟ هل كان دافع بريطانيا وفرنسا هو الفصل بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية لحماية السفن المارة بقناة السويس ؟

يمكن أن يقال للرد على هذه التساؤلات . لكن التاريخ العربى لحرب السويس يروى بداية بعيدة الأحداث السويس . يقول التاريخ العربى « لحرب العدوان الثلاثى » وهو الاسم الذى يعرف به حرب السويس .

« لم يكن قرار تأمين قناة السويس سوى ذريعة ملائمة . أمسك بها الاستعمار وضخمها ، ليس الآن التأمين هدد الملاحة الدولية في هذا الممر ، بل الآن نية العدوان كانت مبيتة منذ زمن يرجع تاريخه الى ما قبل التأمين » .

✱

✱ ✱

اذن كان من المتوقع بدء العدوان على مصر في زمن يسبق التأمين .. كيف ؟ ..

يقدم التاريخ العربى لحرب السويس اجابة واضحة بقوله :
« يدرك المطلع على أحداث الشرق الأوسط في أوائل عام ١٩٥٦ أن عدوانا ثلاثيا كان مقررا له أن يتم في شهر مارس من ذلك العام ، أى قبل تأمين شركة قناة السويس بأربعة شهور » .
معنى ذلك أن عدوانا على مصر كان يدبر قبل التأمين .. ويكمل التاريخ العربى موضحا تفاصيل ذلك العدوان الذى لم يتحرك محددا زمنه بقوله :

« ان العالمين ببواطن الأمور حددوا له توقيتا هو يوم ٢٠ مارس بالذات » .

ان ذلك يعنى أن العدوان الذى بدأ ضد مصر ليلة ٢٩ أكتوبر ثم استكمل حلقاته ليلة ٣١ أكتوبر .. هذا العدوان كان سيتحرك من قبل ٥٠ في يوم ٢٠ مارس عام ١٩٥٦

اذن لم يكن التأمين هو الدافع الوحيد للعدوان على مصر وأيضا لم يكن الدافع الوحيد هو انتزاع الدجاجة التى تبيض ذهباً لحملة الأسهم فى لندن وباريس . لقد كانت هناك دوافع أخرى وراء أحداث غروب أيام أكتوبر الأخيرة .. هذه الدوافع هى نفسها التى كانت ستتحرك العنف ضد مصر مع ربيع عام ١٩٥٦ .. فما هى هذه الدوافع التى توارت وراء المبررات - التى ردها ايدن وموليه وبن جوريون - فى أكتوبر ؟ ماذا كانت دوافع عدوان مارس الذى لم يتحرك ؟

يقول التاريخ العربى للسويس هذه الفقرة :

« فى خلال هذا الشهر (أى مارس) زادت درجة التوتر لدى المسؤولين فى لندن وباريس وتل أبيب ووصل بهم الكمد ذروته اثر ثلاثة أحداث جسام كان كل حدث منها لظمة قوية لاحدى هذه الدول » .

فما هي هذه « الاحداث الثلاثة الجسام » التي أوصلت دول العدوان الثلاثي - بريطانيا وفرنسا واسرائيل الى فكرة استخدام القوة ضد مصر ؟

لقد روت اكوام الكتب التي ظهرت عن حرب السويس أفاصيل عن واقع كل دولة من الدول الثلاث . لكن التاريخ العربي يركز على أحداث معينة جرت في مارس عام ١٩٥٦ ، كان مسرحها الأرض العربية ..

ففي بداية مارس خسرت بريطانيا جنرالها « الحارس لسياستها العربية » المقيم بالأردن . وهو الجنرال جلوب المشرف على الفيلق العربي .. فقد أذيع نبأ اقالته من منصبه ، بينما كان سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية يزور القاهرة . وجاء نبأ الاقالة وهو مجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر . ثم سافر لويد الى البحرين يكمل رحلته في الشرق الأوسط . وكانت في انتظاره بالبحرين أحداث من نوع آخر . فقد كانت في استقباله مظاهرات عنيفة .. وكانت تحية شعب البحرين له تتمثل في القاء قطع الأحجار على موكبه .

وهذا ما يخص لندن من أحداث مارس . فماذا عن باريس ؟

أيضا مع مارس .. وبعد زيارة سلوين لويد للقاهرة ، جاء بينو يحمل فكرة معينة ليعرضها ، كان يأمل في اقناع القاهرة بوقف مساعدتها للثورة الجزائرية .. مشكلة فرنسا رقم واحد (وقتها) وعندما سافر بينو كان يحمل ردا واضحا من الرئيس عبد الناصر على مطلبه .. كانت الاجابة التي سمعها بينو « أن تخلى مصر عن الوطنيين الجزائريين يعنى أن أتخلى عن قوميتي العربية » لكن بينو لم يتفهم عمق هذه الاجابة ، فقد غادر القاهرة « يحمل بين جنبه حقدا مريرا » على حد تعبير التاريخ العربي . قربت أحداث مارس بين نظرة لندن وباريس الى القاهرة ، وبدأنا تفكران في عمل تجاه القاهرة .

وجاءت هذه الخطوة في لندن .. في يوم ١١ مارس ، سافر جى موليه رئيس الوزراء الفرنسى ليجتمع بالسير انطونى ايدن رئيس الوزراء البريطانى . وفي هذا الاجتماع تبلور اتجاه فرنسى بريطانى ضد مصر . ففي هذا الاجتماع تم الاتفاق على :

« انتهاج سياسة فرنسية بريطانية مشتركة تتسم بالشدّة ضد

مصر » ..

وكانت نقطة البداية في تفكير لندن وباريس في استخدام « الشدة ضد مصر » بعد أحداث طرد جلوب ومظاهرات البحرين ثم تجربة بينو في القاهرة .

فما الذي حفز اسرائيل الصغيرة للتفكير في مغامرة عنف مع مصر ؟
لم يكن حدثا معيناً جرى في مارس هو الذي حرك روح المقاومة لدى سياسة اسرائيل . ولم تكن فكرة العنف وليدة أحداث الربيع في الشرق الأوسط كما كان الحال في لندن وباريس ، وانما ولدت فكرة العنف في أذهان الناسة الاسرائيليين منذ عدة أشهر سابقة على مارس وبتأثير أفكار جديدة لبن جوريون .

ولتحفظ مبدئي فلم تكن فكرة العنف بجديدة على الفكر السياسي والعسكري في اسرائيل . فمنذ نشوء هذه الدولة غير الشرعية ظهر جناح قوى داخل السياسة الصهيونية يؤمن بالعنف كوسيلة لخلق اسرائيل ثم كوسيلة للبقاء عليها وسط بحر العرب يحيط بها . وقد ضم جناح العنف بن جوريون كأبرز شخصياته وأكثرهم تأثيراً ، وقدم هذا الجناح بعد اغتصاب فلسطين فكرة « الاغارات الانتقامية » كأسلوب تتعامل به اسرائيل مع جيرانها العرب حتى تحقق هدفها في البقاء وتجبر الدول العربية على الصلح . وظلت هذه الفكرة هي السائدة حتى خريف عام ١٩٥٥ بينما كان ابن جوريون قد غاب بعيداً في عزلة اختارها لنفسه في قرية صغيرة ولكن ابن جوريون عاد الى ميدان السياسة في هذا الوقت يحمل تطويراً جديداً للأسلوب استخدام العنف مع العرب .

فقد خرج من عزلته بمستعمرة « سدية بوكر » يعلن انتهاء الظروف التي جعلت من أسلوب « الاغارات الانتقامية » وسيلة لتحقيق الصلح مع العرب مقدماً فكرة متطورة لاستخدام العنف مع العرب ولكي يروج بن جوريون لفكرته المتطورة في استخدام العنف ، قدم حجتين :

كانت حجته الأولى ترى ان الظروف الملائمة لأسلوب الاغارات الانتقامية التقليدية قد تغيرت . فقد اعتمدت فكرة الاغارات على ضعف أسلحة العرب وتفوق اسرائيل في التسليح ، لكي ترسل اسرائيل فجأة وباعداد متفوقة قوة تهاجم موقعا عسكريا أو منطقة داخل الأراضي العربية . . تقتل من تصادفه وتدمر ما تجده من منشآت ثم تتراجع القوة الاسرائيلية عائدة . وكان الاعتقاد السائد لدى اسرائيل ان تكرار هذه الاغارات وازدياد الخسائر التي تحدثها ستجبر الدول العربية في النهاية على الصلح . ولكن

بن جوريون أعلن أن حصول مصر على سلاح حديث من تشيكوسلوفاكيا قد أسقط شرط نجاح الاغارات الاسرائيلية وهو ضعف تسليح العرب ومصر خاصة . ولذلك فقد أوضح بن جوريون أن الموقف يحتاج من اسرائيل الى التفكير في عمل أكبر ضد مصر من الاغارة ويتم في زمن قريب قبل أن يكمل الجيش المصري تدريبه على السلاح الجديد ويضيع أمل اسرائيل في اجبار العرب على الصلح والاعتراف بها .

وبجانب حجة « الصلح الذي لن يتحقق » بعد أن تقوى مصر نتيجة لحصولها على أسلحة جديدة .. قدم بن جوريون مصر كأنها العائق أمام حياة اسرائيل . فهي ليست عائقا أمام الصلح فقط . وانما هي أيضا تقف أمام تحقيق فكرة « أرض الميعاد » فالمدافع المصرية المنتصبة على مدخل خليج العقبة تمنع حركة السفن الاسرائيلية التي ستحمل مصنوعات اسرائيل الى أسواق افريقيا وآسيا ولذلك فلا بد من عمل أكبر ضد مصر يجب أن تقوم به اسرائيل لتواجه كل هذه الظروف .

ان مصر هي الخطر على اسرائيل بسلاحها الجديد . وأن مصر هي العقبة أمام تحقيق فكرة أرض الميعاد بوجود مدافعها على مدخل خليج العقبة .. وبهذه الأفكار خرج بن جوريون من عزلته في خريف ١٩٥٥ يروج لفكرته المتطورة فكرة « جولة أكبر ضد مصر » من الاغارات التقليدية . وسريعا قادته هذه الأفكار ليصبح وزيرا للدفاع بحكومة اسرائيل .

وبتوليته هذا المنصب ظهرت أولى خطط اسرائيل لشن حرب ضد مصر في تاريخ يسبق مارس بما يقرب من نصف عام . وانتقلت أفكاره المتطورة الى خبر الاعداد العملى في يوم ٢٣ أكتوبر عام ١٩٥٥ .

في هذا اليوم اجتمع بن جوريون (بصفته وزيرا للدفاع) وموشى ديان رئيس الأركان الاسرائيلية . وتم هذا الاجتماع في مكان بعيد عن المكاتب الرسمية لوضع خطة الحرب ضد مصر ووقع الاختيار على غرفة بلفندق (هاناسى) بالقدس المحتلة .

وفي اجتماع غرفة هاناسى أصدر بن جوريون توجيهاته لموشى ديان عن فكرته عن الحرب التي يريدتها مع مصر فقد تخيل بن جوريون « جولة أخيرة بين اسرائيل والعرب ، تتحقق » بايقاع هزيمة نكراء بالقوات المسلحة المصرية بسيناء ، وعندما تهزم مصر ، تصبح أمام حل واحد . وهو توقيع

وثيقة الصلح . ووقتها لا تجد الدول العربية الأخرى سوى التسليم وتتبع مصر . وتحقق إسرائيل هدفها الدائم وهو الحصول على اعتراف العرب بها . . وأطلق بن جوريون على فكرته اسم « اسم الحرب الوقائية » وكان على موسى ديان - بصفته رجلا عسكريا عليه تحويل هذه الأفكار الى خطة عسكرية ، تتحرك طبقا لخطوط القوات الاسرائيلية التى ستهاجم سيناء .

وعندما تخيل موسى ديان هذه المعركة . . تخيل قوات إسرائيل تتقدم من جنوب شرق إسرائيل الى داخل الأراضي المصرية وتتوغل قوة الهجوم داخل سيناء متقدمة فى شكل « سنارة صيد » يبدأ طرفها المستقيم من جنوب شرق إسرائيل . أما طرف « السنارة » من نهايتها الأخرى فيتجه بصعود نحو الشمال الغربى ، فى اتجاه مدينة العريش المصرية . وبينما تحيط هذه القوات المهاجمة بالقوات المصرية بسيناء ، تهبط قوة اسرائيلية أخرى من الجو ومن البحر غرب مدينة العريش . . وتقع القوات المصرية فى الشرك . .

تصبح القضيبة المطلوب تليينه « بمطرقة » تمثلها قوة الهجوم الاسرائيلية المتقدمة أرضا بينما يكون « السندان » هو القوة الهابطة من الجو والبحر غرب العريش .

ولاعطاء أهمية لهذه الجولة الأخيرة مع العرب سميت خطة الحرب التى يخطط لها موسى ديان بالخطة « قادش » وترجمتها للغة العربية يصبح اسمها « الخطة المقدسة » .



كان لاطلاق هذه التسمية على الخطة مغزى مقصود به اضافة غلالة سحرية على فكرة الحرب . . فاسم قادش له قصة فى التاريخ القديم ترجع الى أيام النبى موسى . . فعندما خرج موسى من مصر مهاجرا باليهود من أرض جوشن أو جاشان بالعبرية أو منطقة تل بسطة (ما بين الاسماعيليه والزقازيق) . وقتها نظر موسى الى أرض فلسطين الذاهب اليها ، ثم عبر البحر الأحمر الى ساحل سيناء مختارا طريقا مهجورا ليسير فيه . . ووصل موسى الى وادى فيران ثم تشتت اليهود فى متاهات الصحراء بسبب عصيانهم كلام النبى موسى . وبعد أربعين عاما من التشريد قادهم يوشع بن نون مرة أخرى قاصدين فلسطين . وعندما وصل يوشع الى مشارف فلسطين صادف عين ماء كانت تسمى عين

قدیس غیر اسمها وأطلق علیها (عین قودش) أو العین المقدسة بالعبرية .
وعندما تأهب للمركة فاصلة مع حکام فلسطين .

وتکمل اقصوصة فدين ما حدث لیوشع فقد اختار لجماعته مواقع للمركة . . ووراء ظهورهم الصحراء الموحشة . . بينما یرون امامهم وعلى بعد وديان فلسطين الخضراء وبساتینها لیحفزهم على الاستماتة فی القتال ، وهم یرون الأرض الخضراء بخیراتها أمامهم . . وأیضا عندما اختار موشی ديان اسما لخطة الحرب مع مصر اختار لها اسم العین التي حارب عندها یوشع . . واسمى خطته بالخطة قودش أو قادوش أو الخطة المقدسة بالعبرية لیکسب الخطة کل ما یتحملة هذا الاسم من ذکریات قديمة .

وضعت الخطة المقدسة بعد اجتماع غرفة فندق هاناسی بالقدس المحتلة . . وظهرت بشکلها النهائي تتضمن ملحقين (أ ، ب) . . وخصص الملحق (أ) لتقرير المخابرات الاسرائيلية . ولضمان سریتها لم یطبع منها سوى ١٢ نسخة فقط ، وحددت الهدف وأسلوب تنفیذه کالاتی ، طبقا للنص الحرفی للخطة .

» تحتل قوات جيش الدفاع الاسرائیلی شمال سیناء .

أما الجزء الآخر من الخطة فیتضمن تحديدا للوحدات العسكرية الاسرائيلية التي ستکلف بالهجوم على مصر ، والوحدات التي ستقوم بمهام الدفاع فی مناطق اسرائيل الأخرى . كما یحدد لقوات الهجوم مهامها . وقد جاءت هذه التفصیل تحت تعبير (عام) کالاتی :

(أ) ینفذ احتلال شمال سیناء بواسطة القيادة الجنوبية بقوة ٦ ألوية من المشاة و٣ ألوية من المدرعات .

(ب) تدافع کل من القيادة الوسطی والشمالية عن مناطقها بالقوة الآتية :
١ - قيادة الشمال - ٢ لواء مشاه + کتيبة مشاه ، ٢ کتيبة مدرعات ، وکتيبة من حرس الحدود ، وکتيبة القيادة المدرعة .

٢ - قيادة الوسط : ٢ لواء ، مشاه + کتيبة ، ٤ کتاب مدرعة

و ٢ کتيبة من حرس الحدود ، کتيبة القيادة المدرعة .

(ج) يحتل لواء مشاة المظلات ٢٠٣ العريش بالهبوط أو النزول .

(د) یبقى ٢ لواء مشاه کاحتياطی للقيادة العامة .

وبالنسبة لتنفيذ هذه الخطة فقد قسمت الى ثلاث مراحل یتم بتنفيذها تحقيق الفرض كما تخيله بن جوریون وموشی ديان .

« في المرحلة الأولى ، وتبدأ يوم الفوز (ع متى ع + ١) ومعناها من يوم بدء الهجوم على سيناء وتستمر ليوم واحد خلاله تقوم القوات الاسرائيلية المهاجمة باحتلال شمال سيناء حتى خط العريش - جبل لبنى - بير الحسنة - نخل ، مع استمرارها في التقدم خلال هذه الفترة .

« وفي المرحلة الثانية (عوع + ١ ، ٢ + ٣ ، ع + ٣) وهي تستمر حتى اليوم الثالث للهجوم وخلالها تتقدم القوات الاسرائيلية عبر القناة وتنتهي تطهير قطاع غزة .

« وفي المرحلة الثالثة تقوم القيادة الجنوبية الاسرائيلية باحتلال مضائق خليج العقبة .

حملت الخطة المقدسة توقيع راف الوف موسى ديان (اسمه بالكامل) رئيس هيئة الأركان العامة الاسرائيلية .

وذهب أكتوبر من عام ١٩٥٥ وجاء نوفمبر وازدادت قوة أنصار الحرب في اسرائيل . فقد ذهبت وزارة شاريت - التي شغل بن جوريون بها منصب وزير الدفاع - وأصبح بن جوريون المسئول الأول بالوزارة الاسرائيلية ، وأصبح في قدرته اصدار الأوامر لتنفيذ أفكاره الجديدة عن (الحرب الوقائية) التي قدمها كاجراء ضروري لاجبار العرب على الاعتراف باسرائيل .. ولكن بالرغم من حماس بن جوريون وهو يترك عزله في قرية سرية بوكر .. وبالرغم من منصبه كرئيس للوزارة بكل سلطات ونفوذ هذا المنصب . بالرغم من هذا كله فلم يصدر بن جوريون أوامره ليبدأ موسى ديان حربه المقدسة .

لماذا

هل تراجع بن جوريون عن خطته بعد أن أصبح رئيسا للوزارة ؟ أم أن هناك سببا آخر ؟

الحقيقة .. ان بن جوريون كان يبحث عن مبرر للعدوان .

ففي البداية .. عندما اجتمع بن جوريون وموشى ديان في غرفة هاناسي في أكتوبر ١٩٥٥ كان بن جوريون يعتقد أن لديه حجة مناسبة لتبرير هجومه المنتظر مستندا الى ما يجري عند مداخل خليج العقبة . وكان يرى أنه يمكن تبرير العدوان على أساس ان مصر تمنع مرور السفن الاسرائيلية بمياه الخليج . كما أنها لا تسمح لطائرات شركة آل عال الاسرائيلية بالتحليق فوق مياه الخليج .

لكنه بعد نوفمبر لم يصدر أمر التنفيذ لأنه وجد أن حجته في المرور بمياه خليج العقبة ليست (بالحجة المتناسكة) . فحتى الجانب القانوني

من حجته لا يقدم فيه القانون الدولي نصوصا واضحة تجمع على رأى واحد يفسر حق الملاحة فى البحار المغلقة مثل الخليجان .

كان هناك عامل آخر اجبر بن جورىون على التأجيل وهو يرقب ما يدور خلف خط الهدنة مع مصر .

فمع نهاية عام ١٩٥٥ تغير الموقف على خط الهدنة بين اسرائيل وسيناء .. فقد أصبحت كل غارة اسرائيلية تهاجم موقعا بسيناء تجد وراءها ردا سريعا من مصر يتجاوز خط الهدنة الى داخل اسرائيل . وتعرضت اسرائيل للانتقام هجمات الفدائيين الذين تنظمهم مصر . بينما كانت القوات المصرية تستكمل تدريباتها على السلاح الجديد . وهكذا وجد بن جورىون ان مخاوفه التى حفزته لفكرة شن حرب على مصر قبل أن تقوى .. هذه المخاوف التى حركته قد تحققت فعلا ، وازدادت قوة الجيش المصرى .

ومقابل هذه التطورات ظهرت امام بن جورىون مطالب جديدة ليتمكن تنفيذ خطته المقدسة .

كان على اسرائيل ايجاد حليف اما لتعمل ضد مصر .. حليف يعطيها ضمانا بالحماية من انتقام مصر .. ويوزدها بالسلاح بكمية أكبر ..

ولم يجد بن جورىون هذا الحليف الذى يشاركه افكاره الهجومية على مصر فى ذلك الوقت .. فى نهاية عام ١٩٥٥ .. لكنه بعد عدة أشهر وجد الحليف الذى يمكن أن يشاركه فى مغامراته ..

لقد وجد بن جورىون ضالته المنشودة فى شخص ايدن وجى موليه اللذين دفعتهما أحداث الشرق الأوسط الى اتخاذ قرار باتباع (سياسة الشدة مع مصر) فى اجتماع ١١ مارس .

ولم يكن حنق ايدن وموليه على القاهرة بسبب أحداث مارس عام ١٩٥٦ فقط ، بل كانت أحداث مارس هى نقطة فاصلة فى موقف الدولتين تجاه مصر ، بعد أحداث توالى فى سنوات سابقة .

.. ويعبر التاريخ العربى عن هذه التعارضات فى السياسات باستخدام تعبير (خط التصادم) . أى القضايا التى أظهرت تعارضا بين ما تراه القاهرة وما تراه لندن وباريس .

وبالنسبة لنقط التصادم بين القاهرة ولندن .. كانت القصة تتضمن عدة نقاط تصادم .. بدأت أولاها باصرار القاهرة على جلاء القوات البريطانية

بلا شروط وبلا قيود تشدها الى الاحلاف . ثم ظهرت نقطة التصادم الثانية بمعارضة القاهرة لكل محاولة لجرها الى مجال حاف .. ومن معارضة القاهرة للأحلاف اصطدمت القاهرة ولندن في « نقطة ثالثة » عندما عارضت القاهرة حلف بغداد الذي تبنته بريطانيا . وعندما تحملت مصر مسؤولية دورها القومي كجزء من الأمة العربية وتصدت للدفاع عن القضايا العربية في المؤتمرات الدولية .. أوصل هذا الدور علاقات مصر وبريطانيا الى « نقطة تصادم رابعة » .. ثم جاءت ذروة الصدام عندما اشترت مصر السلاح من الشرق .

وبالنسبة لفرنسا لم تكن دوافعها مماثلة تماما لبريطانيا التي عارضت محاولة مصر بناء شخصيتها القومية المتحررة .. حقيقة سببت سياسة مصر المتحررة متاعب أمام السياسة الفرنسية بتبنى القاهرة لقضايا تونس والجزائر والمغرب أمام مؤتمر باندونج .. ولكن نقطة التصادم الرئيسية .. كانت الجزائر التي ارتكب بشأنها جى موليه خطيئته الكبرى .

ولكن كيف تم جمع الساخطين الثلاثة في عمل مشترك ضد مصر ؟ كيف تم اللقاء بين لندن وباريس من جهة وبين إسرائيل من جهة أخرى ؟

في السياسة كما في حياة الناس اليومية رجال يلعبون دور الوسطاء لتسهيل أمر معين . وفي تلك الفترة المبكرة لعب جى موليه رئيس الوزراء الفرنسى هذا الدور ليربط الحلقات بين الدول الثلاث .

فبعد اجتماع لندن في ١١ مارس .. تم اجتماع آخر في باريس بين جى موليه وبين يعقوب تسور السفير الاسرائيلى في باريس .. وارتبطت الحلقات بين الدول الثلاث ، وبدأت تتضح المؤامرة التي ستوجه ضد القاهرة في مارس .

يصف التاريخ العربى للسويس اجتماع باريس بين جى موليه والسفير الاسرائيلى .. فيقول :

« بعودة جى موليه من لندن ، تم اجتماعه بالسفير الاسرائيلى في باريس . اتصلت حلقات محور العدوان الثلاثى .. لندن - باريس - تل أبيب . وشكل مسيو جى موليه همزة الوصل في هذا المحور .. وأصبح مفهوما منذ ذلك اليوم أن إسرائيل اذا شنت حربا وقائية فلن تقف وحدها .. بل ستدبر لها وسيلة ماثوية لتدخل بها كل من فرنسا وانجلترا » .

ولقد كانت هناك الوسيلة ليتم هذا كله في مارس ١٩٥٦ ... فقد دبروا الحجة التي ستتدخل بها بريطانيا وفرنسا ضد مصر .

كان لدى اسرائيل خطتها المقدسة المعدة للهجوم على الجيش المصرى فى
سبيل . ولكن بدايتها كانت تجرى بشكل آخر بعيدا عن حدود مصر . . كان
على اسرائيل أن تهاجم الأردن . وعندما تقدم مصر وسوريا العون للأردن
لصد الهجوم الاسرائيلى . . يأتى دور بريطانيا وفرنسا للتدخل فى الموقف
باسم الاتفاق الثلاثى لعام ١٩٥٠ ويهاجمان الجيش المصرى ويدمران أسلحته
الجديدة .

كانت هذه هى الذريعة التى ستشارك بها بريطانيا وفرنسا فى عدوان
عام ١٩٥٦ . . كانت حجتها للوقوف بجانب اسرائيل تصريحاً قديماً صدر فى
عام ١٩٥٠ . . فى هذا التصريح أعطت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا
لأنفسها حقاً غريباً . . هو صفة الحارس للنظام بين اسرائيل والدول العربية
وصفة رجل البوليس الذى يتدخل لفض أى شجار .

ولم يعرف العالم بهذا العدوان لأنه لم يتحرك فى ربيع ١٩٥٦ بسبب
ظروف واجهته . . كان أولها حاجة اسرائيل الى أسلحة ومعدات حديثة
وخاصة الطائرات والدبابات لتكون قادرة على الحركة ضد مصر .

وكانت بريطانيا لها ظروفها الخاصة بها التى تعرقل دورها فى الثأر ضد
مصر . . كانت لها بعض الوحدات العسكرية فى منطقة القناة ترحل على فترات
طبقاً لاتفاقية الجلاء وكان موقفها حرجاً فقد تضمنت الاتفاقية نصوصاً تقيم
تعاوناً بينها وبين مصر . بينما هى تتأهب لعمل ضد مصر .

ثم أقدمت الولايات المتحدة على حركة مفاجئة عرقلت تحرك مؤامرة
باريس . . عندما دعت مجلس الأمن لمناقشة الوضع فى فلسطين . . بينما
كانت دول التآمر الثلاث تعتقد أن الخلاف بين مصر والغرب قد وصل المرحلة
التي يضمنون فيها وقوف أمريكا معهم ولو كدور المشجع .

وتحت ضغط هذه الظروف توقف عدوان مارس عند حد التفكير والاعداد
النظري لخطته . ولم يتحرك ضد مصر .

ووقعت أحداث مثيرة بعد هذا التاريخ . .

— سمحت أمريكا لكندا ببيع طائرات نفثة من طراز سابى الى اسرائيل .

— اعترفت مصر بالصين الشعبية فى ١٦ يوليو .

— فى ١٩ يوليو سحبت أمريكا عرض تمويل السد العالى .

— أمت مصر قناة السويس فى ٢٦ يوليو وتكهرب الجو . . توترت العلاقات
بين مصر والغرب . . واعتبر الشركاء الثلاثة أن فرصتهم لاحت لهم مرة
أخرى .

كيف مضت الأحداث بعد ذلك . . .

لماذا ألغيت خطة غزو الإسكندرية قبل موعد التنفيذ بـ ٢٤ ساعة فقط

ان كل الأقاصيص التي تروى لحظات سماع ايدن خبر التأميم تجمع على أن سكرتير ايدن الخاص دخل قاعة مأدبة العشاء .. وسلم ايدن ورقة مكتوبا عليها خبر التأميم وقام ايدن ببلاغ الخبر لضيوفه .. ولكن ما حدث بعد ذلك يختلف عليه الرواة .. هناك قصة الكاتب الكندي روبرتسن .. وهى تشير الى أن ايدن استأذن من ضيوفه مع سلوين لويد ولورد هيوم ليرأس اجتماعا عاجلا لمجلس الوزراء .. بينما يروى الكاتب الفرنسى هنرى ازو رواية أخرى أكثر إثارة .. فهو يقول ان ايدن بعد أن قرأ الرسالة التى حملها سكرتيره الخاص ، اتجه الى نوري السعيد يسأله عما يجب أن يكون عليه الرد على ناصر .. وأجابه نوري السعيد باجابة محددة « اضربه ، اضربه بشدة اضربه الآن » .

ثم تتماثل الروايات فى سرد ما حدث بعد اللحظات الأولى لسماع ايدن بالتأميم .. فقد ظل ايدن يتراأس الاجتماع الطارئ لمجلس الوزراء حتى ظهر نور الصباح التالى .. الجمعة ٢٧ يوليو ووقتها كان ايدن قد فكر جديا فى ضرورة ضرب مصر ، منتهزا فرصة التأميم كذريعة يبرر بها أفكاره ..

ويقول التاريخ العربى لحرب السويس :

« فى صباح يوم ٢٧ يوليو ، أى فى اليوم التالى لاعلان مصر تأميم شركة القناة .. أصدر السير أنطونى ايدن رئيس الحكومة البريطانية أمره لرؤساء أركان الحرب البريطانيين بوضع خطط العمل العسكرى المطلوب ضد مصر .. فماذا كانت خطة ايدن لغزو مصر ؟ »

تعددت الخطط التى أعدت منذ هذه اللحظة لغزو مصر .. ففى البداية كانت الفكرة البريطانية تستهدف العمل بشكل منفرد ضد مصر . مع اعطاء فرنسا « دور شكلى » لو أرادت المشاركة فى العمل ، باشراف مجموعة من قواتها الرمزية فى خطة غزو مصر . بينما تكون قوة الهجوم الرئيسية بريطانية .

وقدم القادة البريطانيون خطة مبدئية للغزو سميت باسم « العملية ٧٠٠ » قامت على أساس توجيه حملة الغزو الى الاسكندرية لبدأ منها غزو مصر ، ثم يمتد الهجوم من الاسكندرية الى القاهرة لاحتلالها . بعد أن يتم تدمير الجيش المصرى فى معركة تجرى ما بين الاسكندرية والقاهرة .

وعرضت خطة « العملية ٧٠٠ » على ايدن مشفوعة بمبررات اختيار الاسكندرية كهدف يبدأ منه غزو مصر .. فقد رأى القادة البريطانيون أن الاسكندرية كميناء بحرى تعتبر أصلح لسفن الحملة من بورسعيد .. كما أن اختيارها لنزول قوة الغزو يحقق ميزة اضافية ، وهى امكان الاستفادة من الفرقة العاشرة البريطانية التى تحتفظ بها بريطانيا فى قواعد ليبيا وهى فرقة قوامها الدبابات مما يدعم الغزو .

ولكن اذا كانت هاتان ميزتين لاختيار الاسكندرية كنقطة ابتداء للغزو .. فقد كان اختيارها يضع ايدن أمام عمل كبير .. اذ سيجد نفسه أمام عملية تستلزم منه احتلال مصر كلها ، بينما كانت فكرة غزو مصر محكومة بشروط أخرى أساسية يلزم مراعاتها حتى يضمن لها النجاح . وكانت هذه ظروف أخرى يعيشها ايدن وتختلف عن الظروف التى عمل فيها زعماء وقادة بريطانيون من قبل .. أيام امبراطورية الهند ، وأيام الحملات البريطانية المتتالية على الشواطىء الافريقية فقد تغير عالم ايدن عن عالم القرن التاسع عشر .. وتغيرت الظروف التى تعمل فيها قوات الامبراطورية عبر البحار السبعة .

ان فى تاريخ أوروبا مع العالم المحيط بها أقاصيص قديمة تبين تلك العلاقة التى قامت بين أوروبا وآسيا وافريقيا .. فقد ظلت شواطىء آسيا وافريقيا تعرف أوروبا من خلال تلك السفن التى تظهر أمام الشواطىء تحمل مدافع أقوى من مدافع الشاطىء .. وتنزل جنودا يحملون سلاحا أكثر فتكا من سلاح المدافعين على الشواطىء .. لقد ظلت تلك هى علاقة أوروبا بالعالم المحيط بها منذ رحلات فاسكو دى جاما حول افريقيا ورحلات كولومبس الى العالم الجديد وحملات فريزر وسيمور على مصر فى القرن الماضى . ولقد تطورت سفينة الماضى الى علم للانزال البحرى أجادته أوروبا حتى تحافظ على علاقاتها التقليدية مع آسيا وافريقيا .. وبينما كانت مهمة سفينة الماضى هى اسكات حصون الشواطىء . أصبح علم الانزال البحرى الحديث يعطى للقائد الاوروبى خطوات اسكات مدافع الشاطىء والقضاء على مقاومة الرجال المدافعين على الشواطىء ، مستغلا مكنياته القوية التى تفوق امكانيات رجال الشواطىء .. وفى العلم العسكرى يسمى عامل التفوق فى السلاح والرجال باسم (عامل الجسم) فى التنفيذ .. أى أن

تكون القوة المهاجمة متفوقة على القوة المدافعة لتحصل على هدفها المطلوب ولقد كان عامل التفوق أو الحسم هو أهم ما يميز أوروبا على آسيا وأفريقيا في الماضي .

ولكنه لم يكن الشرط الوحيد فقد كان مقيدا بضرورة مراعاة عامل آخر أكثر أهمية وهو « السرعة » السرعة في العمل أى تحضير قوات الهجوم في عدة أيام ثم تحريكها بسرعة لبدأ الغزو معتمدا على عامل الحسم والتفوق ليحصل على هدفه وبسرعة أيضا . قبل أن تتدخل الدول الأخرى وتعرقل خطته .

وكان هذا هو كل الفرق في الظروف التى واجهت ايدن ، والتى عمل خلالها من قبل رجال مثل دزرائيلى وجلادستون وتشرشل كان على ايدن أن يضع في اعتباره اعداد قوة للغزو ليست متفوقة فقط على قوة مصر وانما تتمتع بالسرعة في العمل .

وهكذا اصطلحت أفكار ايدن بأولى العقبات في تلك الايام الاولى التى تلت التأميم .

فضرورة السرعة في تحضير قوات الغزو لم يمكن تحقيقها بسهولة لعدم وجود قوات بريطانية صالحة للقتال في مناطق قريبة من مصر فالقوات البريطانية كانت موزعة بين ألمانيا وليبيا وعدن وقواعد البحر المتوسط .

والعامل الثانى .. وهو الحسم .. لا يمكن لايدن تحقيقه بسهولة امام القوات المصرية التى تمتلك دبابات حديثة وحماية جوية من أحدث النفاثات . وهذا يعنى أن حملة الغزو لابد أنها ستواجه بمقاومة مصرية جدية .

* * *

وكنتيجة لذلك كان على ايدن وهو يفكر في الغزو أن يعد حملة كبيرة مدعمة بالدبابات والطائرات ليواجه الاسلحة المصرية وأن يعد هذه الحملة اعدادا كاملا يعتمد على كل عناصر الغزو البحرى من مشاة أسطول ، وجنود مظلات ، وسفن لحمل قوة الغزو وأسطول جنود الغزو أثناء أنزالهم الى الشاطئ .. فى نفس الوقت لا يملك فيه قوات جاهزة فى البحر المتوسط تمكنه من توجيه حملة بريطانية تحقق هدفا كبيرا .. هو احتلال مصر طبقا لخطة « العملية ٧٠٠ » .

وكانت هذه عيوب فى « خطة عملية ٧٠٠ » ولذلك صرف ايدن النظر عنها ، عندما عرضت عليه يوم ٨ أغسطس بينما كانت أفكار أخرى لايدن

قد ذابت خلال الاسبوع التالى للتأميم وكان يعلق عليها آمالا كبيرة فى انجاح حملته التى ستوجه ضد مصر - فقد كان فى تخطيط ايدن دور يسند لأمريكا فى هذه الحملة . وهو قيام أمريكا « بحماية ظهره » وهو متجه الى شواطئ مصر ليؤمن نفسه من احتمال تدخل سوفيتى . وكان يأمل أن يقوم الأسطول السادس الأمريكى المتجول فى البحر المتوسط بدور التعضيد الخلفى « الذى يحمى ظهره » . ولكن فكرة ايدن عن التعضيد الأمريكى الخلفى « اهتزت بأحاديث « المستر مورفى » المبعوث الأمريكى الذى طار الى لندن بعد التأميم . وأظهر لايدن أن أمريكا قادمة على انتخابات الرئاسة ولا يمكنها أن تؤيد فكرة عمل عسكري .

وعلى عكس موقف الولايات المتحدة . وجد ايدن فى باريس حماسا متزايدا للعمل ضد مصر ، تقوم فيه بدور رئيسى . فلم تظهر باريس حماسها بمجرد عرض تقديم قوات فرنسية رمزية للاشتراك فى الحملة . وانما عرضت المساهمة بنسبة ٣ الى ٥ من قوات الحملة .

* * *

وبدا التعاون البريطانى الفرنسى .

فى يوم ٣١ يوليو شكلت لجنة لتنسيق خطط الدولتين لخدمة حملة مصر . وتم تشكيل « لجنة التخطيط المشتركة » واتفقت الدولتان على القوات التى ستقدم للحملة . وكان على بريطانيا أن تقدم ٤٥ ألف جندى و ١٢ ألف عربة ، ٣٠٠ طائرة و ١٣٥ سفينة حربية ، وكان على فرنسا أن تساهم بتقديم ٣٤ ألف جندى و ٩ آلاف عربة ، ٢٠٠ طائرة ، ٣٠ سفينة حربية .

وتقرر تشكيل قيادة مشتركة للحملة . وأسندت الى الجنرال تشارلس كيتلى (قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط وعين الاميرال الفرنسى البحرى (بارجوت) نائبا له .

وعين لقيادة القوات الجوية الفايىس ادميرال ريتشموند البريطانى ثم حل محله سلاتر البريطانى وعين نائب له لانسالوت الفرنسى . وعين لقيادة القوات البرية . . هيوستوكويل البريطانى ، ونائبه جنرال بوفرى الفرنسى . ولقيادة القوات الجوية عين بارنت ونائب له بروهون الفرنسى .

واتفق على القواعد التى ستجتمع فيها قوات الفوز . . ووقع اختيار القادة البريطانيين والفرنسيين على قاعدتى قبرص ومالطة . بعد استبعاد استخدام قواعد ليبيا والدول العربية القريبة من مصر .

ولأن هاتين القاعدتين بعيدتين عن مصر فقد ظهر منذ البداية أن على قوة الغزو الاعتماد على مطارات قريبة من مصر أو استخدام حاملات الطائرات كمطارات متحركة تحمل الطائرات التي ستهاجم مصر ولذلك كان على بريطانيا تقديم ٥ حاملات طائرات من مجموع الـ ١٣٥ سفينة التي ستقدمها . وكان على فرنسا تقديم حاملتين .

وهنا ملاحظة : ففي الاجتماعات الأولى بين الجانبين الفرنسي والبريطاني ظهر تلميح الى « الشريك الطموح المنتظر إسرائيل » فقد تقدمت فرنسا بعرض اشراك إسرائيل بدور في حملة مصر . ولكن ايدن رفض الفكرة ، وعارض قبول إسرائيل كشريك . وطوت باريس فكرتها (مؤقتا) وبدأ وضع خطط الغزو الانجليزي والفرنسي لمصر .

وقدم العسكريون البريطانيون « خططهم العملية ٧٠٠ » التي تهدف الى غزو مصر عن طريق الاسكندرية . . وقبل العسكريون الفرنسيون هذه الخطة ، بعد الاتفاق على تغيير اسمها ليصبح (هاميلكار) وكان الاسم (هاميلكار) يحمل صفة التفاؤل الذي حملته خطة بن جوريون المقدسة فالاسم هاميلكار لقائد قرطاجنى مشهور بغزواته . وكان الشريكان يطمعان في نفحة من تاريخ هاميلكار توصلهما الى مصر ، ويستعيدان بهما نفوذهما الزائل على الشرق الأوسط .

وانتهى العسكريون البريطانيون والفرنسيون من وضع خطة هاميلكار في الاسبوع الثانى من أغسطس وطلبوا فترة استعدادا لاتقل عن ٦ أسابيع لتتحرك الحملة . ولما كان اسبوعان قد مرا منذ التأميم لذلك كان من المقرر أن تبدأ الحملة في منتصف سبتمبر . وصدرت الأوامر الى القوات الفرنسية والبريطانية المتجهة الى قبرص ومالطة بوضع الحرف (H) - رمزا لعملية هاميلكار - على خوذ الجنود وأسطح الدبابات والطائرات . ولكن هذه الاوامر سرعان ما تعدلت بأمر آخر من الجنرال تشارلس كيتلى القائد العام للحملة ، يأمر بوقف العمل بالخطة هاميلكار . واستبدالها بالخطة موسكتير (الأولى) ، وتعنى بالانجليزية الفارس . . وهكذا ظهرت خطة ثالثة للغزو باسم موسكتير الأولى .

لم تختلف الخطة موسكتير (الأولى) عن الخطة هاميلكار في خطوطها الرئيسية فكلا الخطتين اتخذتا الاسكندرية كهدف يبدأ منه الغزو . ثم يتجه الغزو بعد ذلك نحو القاهرة لاحتلالها ولكن الخطة موسكتير تغيرت

بالتفاصيل المحددة لتنفيذ الحملة فقد تضمنت أربع مراحل للغزو تبدأ بضرب الاسطول البريطانى الفرنسى لميناء الاسكندرية . ثم يتبع ذلك هبوط جنود المظلات خلف بحيرات جنوب الاسكندرية بينما تنزل قوات الغزو من البحر على الشواطىء فى ضواحي المدينة وعندما يتم الاتصال بين قوات المظلات والقوة النازلة من البحر يشتركان معا فى احتلال الاسكندرية وبعدها تتجه قوات الغزو نحو القاهرة .

وبجانب تفاصيل سير الغزو تضمنت الخطة موسكتير الاولى توقيتات محددة للتنفيذ . ان موعد غزو الاسكندرية هو صباح ١٥ سبتمبر . ومن يوم ١٣ سبتمبر يبدأ الطيران البريطانى الفرنسى فى ضرب مصر بالقنابل .

ومنذ أول سبتمبر تتحرك طلائع القوات المشتركة فى الغزو .

وفى يوم ١٥ أغسطس أقرت لندن وباريس خطة موسكتير الاولى . وابتداء من يوم ٢٤ أغسطس بدأ شحن معدات الغزو ومنذ يوم ٢٦ أغسطس تحركت فرق الغزو الى قبرص . وفى الايام التالية وصلت الى ميناء ليماسول بقبرص . وكان من المقرر صدور التعليمات المبدئية بتحريك سفن الغزو فى يوم ٨ سبتمبر لتبدأ هجومها فى منتصف الشهر . ولكن قبل موعد تحركها بأربع وعشرين ساعة صدر أمر بإيقاف الغزو طبقا للخطة موسكتير الاولى .

كان وراء إيقاف العمل بالخطة موسكتير الاولى نقاش بين لندن وباريس يدور حول الحملة المنتظرة على مصر . . وكان هذا النقاش يقترب بحملة مصر الى قرار خطير .

كانت باريس كعادتها ، كلما ظهر اسم مصر مندفعه . . تريد عملا سريعا أكثر اندفاعا .

بينما كانت لندن تريد عملا مرتبطا بخطة جاهزة تحدد خطوات التنفيذ .

كانت لندن ترى أن فترة التمهيد التى ستسبق الغزو يجب أن تبدأ قبل نزول القوات بفترة ٦ أيام على الأقل . بينما رأى الفرنسيون اختصار هذه الفترة برغم حجة البريطانيين بأن التمهيد الجوى وضرب الطيران المصرى سيسهل للغزو البحرى طريقه الى الشواطىء .

ولم يكن هذا هو كل النقاش ، فمنذ ٨ سبتمبر ظهر لباريس اعتراضات على خطة الغزو موسكتير ، تقلب كل خطوطها تماما . . فقد بدأت باريس تعترض على اختيار الاسكندرية كنقطة يبدأ منها الغزو ورأى القادة الفرنسيون أن العملية بهذا الشكل تتطلب شهرين من الاستعداد وليس شهرا واحدا مما يعرقل سرعة تحرك الغزو . ثم تقدمت باريس بمطلب قلب كل افكار الحملة رأسا على عقب . . عندما طالبت بأن يكون الطريق الى الهدف من أقصر الطرق وطالبت بخطة تهدف الى انتزاع القناة مباشرة ورات أن انتزاع القناة يحقق هدف الحملة لأنه سيهز القاهرة في النهاية .

وتحققت وجهة نظر باريس . . فعندما عقدت اجتماعات في لندن يومي ١٠ و ١١ سبتمبر لاستعراض موقف الحملة ، تبع ذلك صدور أمر نهائي بوقف العمل بالخطة موسكتير الأولى ، وصرف النظر نهائيا عن الهجوم على الاسكندرية .

وسلمت لهيئة أركان الحرب المشتركة توجيهات بوضع خطة أخرى للغزو تسمى بنفس اسم الخطة التي سبقتها مع ادخال تعديل بسيط بها فقد أصبح اسمها (موسكتير المعدلة) للايقاع بمصر في شرك خداعي لتظل على اعتقادها بأفكار الخطة الأولى (موسكتير الأولى) والتي كانت تفاصيلها قد تسربت الى القاهرة .

ولم يكن تعديل اتجاه الحملة من الاسكندرية الى بور سعيد هو التعديل الوحيد الجوهرى في خطط غزو مصر . . فقد اقنعت باريس لندن بادخال تعديل آخر ، سمح لاسرائيل بدور في حملة مصر . . وكانت هذه بداية للتواطؤ بين الدول الثلاث في الفترة التي تلت التأميم .

كانت بداية ظهور اسرائيل على مسرح الأحداث يوم ٨ سبتمبر وأيضا خلال الانتقادات الفرنسية لخطة غزو الاسكندرية . فقد أعادت باريس الإشارة الى اسرائيل مرة أخرى بعد أن لمحت اليها من قبل عند وضع خطة موسكتير الأولى، ورفض ايدن . . ولكن هذه المرة مع تحول خطة الغزو من الاسكندرية الى بور سعيد وجدت اسرائيل اهتماما أكبر في اجتماعات يومى ١٠ و ١١ سبتمبر . . وكان لدى باريس أكثر من وجهة نظر وهى تقدم اسرائيل كشريك يمكن ان يقدم خدمة لخطة الغزو .

لقد كانت خطة الغزو تعتمد على عاملين أساسيين لنجاحها (من وجهة نظر الدولتين) هما السرعة والحسم .. هجوم سريع يغزو مصر ويصل الى هدفه بسرعة .. فهذه هى افكار القادة البريطانيين وأفكار ايدن نفسه منذ أصدر قرار اعداد خطة الغزو صباح اليوم التالى للتأميم .. ولكن تلك الافكار عن الحملة اصطدمت بواقع مصر التى تمتلك سلاحا حديثا يقضى على شرطى الحسم وانهاء الحرب فى ايام قبل ان يتنبه العالم لما يجرى على شواطئ مصر . كما وجد القادة البريطانيون منذ اللحظات الاولى أن شرط السرعة لا يمكن تحقيقه لعدم وجود قوات جاهزة للحملة تتحرك خلال ايام .

من هذه الزاوية قدمت باريس شريكا ثالثا طموحا .. هو اسرائيل .. يخدم شرطى السرعة والحسم .. وان اسرائيل الطموحة يمكنها تقديم فائدة لخطة الغزو ، بأن تضم امكانياتها لتشارك فى الحملة فاسرائيل يمكنها تقديم ٣٧ ألف جندي مقاتل يتحركون فى اتجاه الحدود المصرية ولو انضم هذا العدد الى اعداد الجنود البريطانيين والفرنسيين المبعدين لحملة مصر ، وعددهم ٨٠ ألف جندي لو حدث ذلك لاصبحت الحملة تضم ١١٧ ألف جندي .

وفى المقابل كانت لندن وباريس تقدران الجيش المصرى الذى سيواجه الحملة بـ ٤٥ ألف جندي فلو ادخلت اسرائيل فى الحملة وزاد العدد الى ١١٧ ألف جندي مقاتل فان النتيجة تحقيق تفوق كبير على الجيش المصرى يصل الى ثلاثة اضعاف . وهذا فى صالح عنصر الحسم اللازم لنجاح الحملة .

ولم تر باريس هذه الميزة فقط لاشراك اسرائيل بتحقيق فكرة ثلاثة جنود مهاجمين مقابل كل جندي مصرى مدافع .. وانما كان لدى العسكريين الفرنسيين وجهة نظر أخرى عن المعارك التى لا بد أن تخوضها حملة الغزو .. فلم تكن اعتراضاتهم على مدينة الاسكندرية كنقطة بداية الحملة هى فى اظهار صعب هذا الطريق ، وطول مسافته ، مما يستلزم شهرين من الاستعداد . لتوقع التقاء الحملة بالقوات المصرية الرئيسية فيما بين القاهرة والاسكندرية .. لم تكن هذه اعتراضات باريس فقط . وانما كانت باريس ترى أن اسناد دور لاسرائيل فى الحملة يمكن أن يؤدى الى اضعاف قوة مصر بشكل آخر .

ان القادة العسكريين يتعلمون فى الكليات العسكرية وهم يدرسون الحرب مبدأ أساسيا للقتال ليتمكنهم تحقيق النصر بأقل الخسائر . هذا المبدأ هو ضرورة تحقيق (الاتجاه غير المباشر) عند دخولهم المعركة ، وكلما أمكنهم ذلك ، أمكنهم تجنب القوات الرئيسية للخصم ، والالتفاف حوله ، وقطع

خطوط مواصلاته كلما أمكن للقائد العسكري الاقتراب بعمله من النصر الذى يريده . وقد كان القادة الفرنسيون هم خير من ذاقوا مرارة هذا المبدأ خلال الحرب الثانية ، عندما تقدم هتلر من مكان غير متوقع خلال الميز وشطر دفاعات الحلفاء فى بلجيكا وفرنسا . وحدثت مهزلة دنكرك التى أجبرت الجيش البريطانى على ترك أوروبا والانسحاب الى الجزر البريطانية وسلمت فرنسا بعد الخدعة الألمانية فى الميز وكانت باريس تتخيل فكرة تخدع مصر بأن تشدها الى اتجاه .. وإيأتى الفوز من اتجاه آخر ليقفل المصيدة على الجيش المصرى .

تخيل القادة الفرنسيون دورا رئيسيا لاسرائيل يشد الجيش المصرى الى المصيدة .. وبعدها تتحرك الحملة البريطانية الفرنسية لتقفل المصيدة . وتقطع خطوط المواصلات المصرية من الاتجاه الآخر غير المباشر .. وتستطيع انتزاع القناة بخسائر قليلة .. بدون مواجهة مقاومة مصرية قوية لأن الجيش المصرى سيكون وقتها متورطا فى معركة مع اسرائيل داخل سيناء بينما ستأتى الحملة من الاتجاه الآخر غير المباشر عند بور سعيد وتحقق المفاجأة .

وكانت تلك ميزتين لاشراك اسرائيل من وجهة النظر العسكرية الفرنسية .. لكن لم تكن هذه هى كل الخدمات التى سيقدمها الشريك الطموح . كان لاسرائيل دور آخر أكثر أهمية وضرورة لتتحرك الحملة .. وكان اسناد هذا الدور لها يعطى الحملة التى يجرى اعدادها الشرط الوحيد الذى يبرر تحركها نحو مصر .. هذا الشرط هو الذريعة .. الحجة التى تعمل بها ضد مصر ..

كيف كانت اسرائيل ستقدم مثل هذه الخدمة الممتازة لحملة مصر ؟ لماذا أصبحت اسرائيل تملك بعد الاسبوع الأول لسبتمبر أمر تحريك حملة مصر أو تقضى عليها بالفشل .. تلك قصة أخرى .

مذكرات الجنرال ستوكويل قائد قوات الهجوم على بورسعيد.

قال ستوكويل ان العقبة الرئيسية التي واجهت بريطانيا وفرنسا واسرائيل في حرب السويس كانت الجيش المصرى الذى ازداد قوة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وأصبح معدا اعدادا كاملا كما ارتفعت روحه المعنوية وقدرته الحربية .. قال ان القوات الجوية المصرية بطائراتها ومعداتها الحديثة كانت عقبة أخرى أمام العمليات الواسعة النطاق التى كانت معدة للتنفيذ ضد مصر ..

وفيما يلى الجزء الأول من هذه المذكرات :

— كنت أتولى قيادة المجموعة الأولى من القوات البريطانية فى ألمانيا عندما أمم جمال عبد الناصر قناة السويس فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ وكانت هذه المجموعة تضم ثلاث فرق مدرعة وفرقة من المشاة .

— ولا أذكر أن هذه الأنباء كان لها تأثير مباشر على حياتنا ولم أكن أدرك أنها فى خلال أيام قليلة سوف تدفع بنا الى مغامرة كبرى ، مغامرة انطوت بالنسبة لى على تجارب مجزية ولكنها جلبت أيضا الكثير من الفشل والخيبة .

— فى ٢ أغسطس تلقيت برقية من وزارة الحرب تتضمن تعليمات بأن ألتقى بنائب رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية الذى سيطر الى ألمانيا من بريطانيا ويصل الى قاعدة السلاح الجوى البريطانى فى جوتر سلوه فى الساعة السادسة بعد الظهر . وفى الوقت المحدد كنت فى قاعدة جوتر ساوه والتقيت بالجنرال أوليفر . وقال لى اننى عينت لقيادة أية عمليات برية قد يتقرر شنها ضد مصر . وسوف تكون العملية مشتركة بين البريطانيين والفرنسيين .

— وطرنا الى لندن فى ٣ أغسطس عندما عرض على الجنرال جيرالد تمبلر رئيس أركان حرب القوات البريطانية صورة الموقف . كان هناك نشاط كبير فى وزارة الحرب فى الوقت الذى تعد فيه العدة لعمل عسكري يدعم أية قرارات سياسية قد تسفر عن المؤتمر الثلاثى وأبلغت أننى أستطيع أن اختار خيرة رجال المجموعة الأولى من القوات البريطانية فى ألمانيا لى أنشىء مجموعتين من القوات والتقيت باللجنة المشتركة لواضعى الخطط وأنيح لى أن ألقى نظرة على خططهم لاعادة احتلال منطقة قناة السويس وكانت الخطط واضحة وبسيطة وتمثل عملية اعادة دخول عن طريق بورسعيد .

ولم يكن هناك أى تفكير فى النزول بمصر مباشرة فى أعقاب الاجراء الذى اتخذته الرئيس عبد الناصر . وكان أوائل سبتمبر هو الموعد الذى يدور فى ذهنى . والواقع انه لم تكن هناك قوة ضاربة تستطيع بريطانيا أو فرنسا أن ترسلها للهجوم بمجرد الاخطار لقد كان آلاى القوات التى تنقل بالجو ، أو على الأقل جزء كبير منه وكذلك آلاى الكوماندوز من مشاة الأسطول — كانت هذه القوات موزعة فى قبرص للعمل ضد الفدائيين بينما كان الفرنسيون مشغولين تماما فى الجزائر .

— وجمعت الأعضاء الرئيسيين فى قيادتى فى ألمانيا ، وفى ٥ أغسطس طرنا الى لندن . حيث بدأنا انشاء مجموعتين من القوات واتخذنا مقرنا نفس مقر هيئة القيادة أثناء الحرب العالمية الثانية الواقع تحت نهر التيمز ، وهو مكان عبارة عن مكاتب صغيرة وممرات مكون من ثلاثة طوابق كلها تحت الأرض . وأطلقنا عليه اسما سريا هو (تيرابين) . وكان مكانا غير جذاب حيث لا تستطيع أن تعرف الليل من النهار . لكن المكان كان معزولا وآمنا . وكنا نسلى انفسنا باحضار أحد رجال الشرطة العسكرية ليقول لنا ما اذا كانت الشمس ساطعة أم هناك مطر .

— واجتمع فريق القيادة المشترك الأميرال ريشموند قائد قوة الهجوم البحرية (حل محله فيما بعد الأميرال « ورنفورد سلاتر » والمارشال بارنست قائد الطيران) . وكان القواد الفرنسيون نوابا لنا . وسار العمل سيرا حسنا على الرغم من وجود خلاف فى الأسلوب لقد كان التسليح ونظام الامدادات والتموين مختلفا بين البريطانيين والفرنسيين .

— وكان الجنرال الفرنسى أندريه بيفر هو قائد قوات الهجوم البرية .

— وكان الفرنسيون فيما اعتقد هم أكثر الدولتين المتحالفتين حماسة لشن هجوم ضد مصر . لقد كانوا يهتمون اهتماما خاصا بقناة السويس كما كانوا يشعرون أن تخلص الجزائر وشمال أفريقيا من النفوذ المصرى يساعد قضيتهم كثيرا . ومع ذلك فقد كانوا سعداء لخضوعهم لقيادة بريطانية .

التعليمات الأولى

وبدأنا على الفور دراسة خطة اللجنة المشتركة لواضعى الخطط لقد كانت التعليمات أيضا هى (أن نكون مستعدين لشن عمليات مشتركة ضد مصر لاعادة قناة السويس الى الادارة الدولية) . وكان الموعد هو ١٥ سبتمبر وصدر اليها الأمر بالمعركة .

كانت القوات البحرية المتحالفة تضم ثلاث حاملات طائرات بريطانية وحاملتين فرنسييتين وسربا من الطرادات وبارجة فرنسية وعددا من المدمرات والغرقاطات وكاسحات الألغام . وكانت القوات الجوية التى وضعت تحت تصرفنا تضم أسرابا من قاذفات القنابل البريطانية طراز كانبرا وفالبانث وأسابرا من المقاتلات البريطانية والفرنسية ومجموعة مشتركة من طائرات النقل .

وكانت القوات البرية المخصصة للعملية تضم لواء المظلات البريطانى رقم ١٦ ولواء الكوماندوز من مشاة الأسطول الملكى بسفن الانزال البرمائية الثالثة والفرقة المدرعة البريطانية العاشرة والفرقة الفرنسية العاشرة من القوات التى تنقل بالجو أو تنزل من البحر والفرقة الأجنبية الفرنسية والفرقة الفرنسية المدرعة الخفيفة .

قوات عبد الناصر

كانت هذه هى قواتنا فماذا كان لدى جمال عبد الناصر ؟ كان السلاح الجوى المصرى يمثل تهديدا كبيرا لطائراتنا سواء من ناحية العدد أو نوع المعدات . لقد كان لدى السلاح الجوى المصرى ما يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ من المقاتلات ، جزء كبير منها من طائرات ميغ وكنا نعتقد أن لدى المصريين عددا من أحدث المقاتلات السوفيتية من طراز ميغ ١٧ وكان لديهم أيضا طائرات فامباير ومتبور ، مع حوالى ٤٠ أو ٥٠ قاذفة قنابل من طراز اليوشن ٢٨ ومجموعة من طائرات النقل وطائرات التدريب .

وكان الجيش المصرى قد نما على يد عبد الناصر وأصبح قوة مفيدة ذات تسليح جيد وكانت معظم معداته سوفيتية وكانت معنوياته قد ارتفعت وبالتالي تحسنت كفاءته فى القتال . وكان لدى الجيش المصرى ما يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ دبابة ، دبابات سنتوريون البريطانية تدعمها دبابات ستالين وت ٣٤ وت ٩٥ السوفيتية وكلها دبابات حديثة سريعة ذات مدافع قوية . كذلك كان لدى الجيش المصرى عدد كبير من المدافع المضادة للطائرات ومعدات الرادار وكانت قوات المشاة المصرية تضم ٧٥ ألف جندى .

وكان جيش عبد الناصر موزعا الى قوات فى سيناء للدفاع ضد أى تهديد اسرائيلى أو كقوة ضاربة ضد اسرائيل وقوات فى مصر موزعة للدفاع عن بور سعيد والاسكندرية مع احتياط رئيسى موجود للدفاع عن القاهرة .

وكانت الخطة العامة التى أعطيت لنا أن نقوم بعملية جوية ضد السلاح الجوى المصرى تتبعها عند الضرورة عملية هجوم على الطرف الثانى من قناة

السويس .. وكان المقرر أن تكون هناك أيضا عملية ضد الاسكندرية الهدف منها تحويل الانظار . وكانت الخطة تتضمن القدرة على التقدم على طول القناة بعد هذه العمليات الاولى الجوية والبرية .

٨ مبادئ للخصطة

وكان من الواضح أمامنا أن هناك احتمالين : النزول في بور سعيد أو الاسكندرية وانتهينا الى أن النزول في الاسكندرية أفضل .

لم تكن بور سعيد مكانا مرضيا بالنسبة لمهمتنا . أن أقرب مطار مناسب يوجد في أبو صوير على بعد ٥٠ ميلا الى الجنوب وقريب من احدى المناطق التي يحتمل أن يحشد فيها المصريون قواتهم المدرعة كذلك كانت شواطئ بور سعيد ضحلة . وكانت المدينة أشبه بسداد زجاجة ذات عنق طويل جدا . وكان علينا أن ننزع السداد ونحشر أنفسنا في العنق ونتقدم فيه قبل أن نستمتع بالعصير اللذيذ في الزجاجة وكانت عمليات النسف في طريق تقدمنا من بور سعيد كفيلة بأن تسبب لنا مضايقات لا نهاية لها . وكانت بور سعيد تتصل في طرفها الجنوبي بالممر الذي يربطها ببقية أنحاء البلاد عن طريق جسرين يمران فوق قناة تؤدي الى بحيرة المنزل . وكان واحد من الجسرين فقط قويا بدرجة يتحمل معها الدبابات الستريون .. وكان من الممكن تدمير هذين الجسرين ويكون علينا عندئذ أن نرسل معدات لاقامة جسور في مقدمة قواتنا اذا لم نستطع أن نحتل الجسرين سليمين .

كذلك كان يمكن تدمير القناة التي تنقل المياه العذبة الى بور سعيد . وكان هذا كفيلا بأن يسبب لنا مشكلة الحصول على المياه العذبة ، ليس بالنسبة للسكان المدنيين ، بل وبالنسبة للقوات .

أما الاسكندرية فكان بها مطار مناسب يمكن احتلاله بسرعة وبها أيضا ميناء ممتاز وتسهيلات بحرية وشواطئ جيدة . وكانت هناك أيضا مناطق خروج مناسبة في اتجاه الجنوب . وكان الطريق الصحراوي الذي يسير جنوبا الى القاهرة ومنطقة الأهرام يؤدي الى المنطقة التي كنا نعتقد أن الجزء الرئيسي من الجيش المصري يحشد فيها .

بورسعيد أو الإسكندرية

وحددنا هذه المبادئ الثمانية ونحن نصوغ خططنا :

ليس في وسعنا أن نخسر . ولا نستطيع في أى مرحلة أن نقبل مخاطر تؤدي الى تراجعنا .

علينا أن نعطل وندمر سلاح الطيران المصرى وقد طلب القائد الجوى ٣٦ ساعة لانجاز هذه المهمة . ولذلك وضعنا فى خطتنا أن نقوم بهجومنا بعد ٤٨ ساعة من أول غارة جوية .

لا بد من الاستيلاء على الميناء عن طريق هجوم مباشر من مشاة الاسطول تؤيده القوات البحرية المتحالفة .

علينا أن نؤمن مناطق الخروج للاتجاه جنوبا مستخدمين فى ذلك قوات هبوط بالمظلات بريطانية وفرنسية .

لا بد أن تتصل القوات الفرنسية المهاجمة على طول الشواطىء بسرعة بالقوات التى تهبط من الجو . ان عليها أن تقيم رءوس جسور لمتابعة التقدم .

علينا أن نقوم بانزال قوات التقدم على الشاطىء بسرعة حتى يتسنى للفرقة الثالثة البريطانية والفرقة المدرعة البريطانية العاشرة والفرقة المدرعة الخفيفة الفرنسية أن تشتبك مع الجيش المصرى وتدمره بأسرع وقت ممكن .

علينا أن تكون مستعدين قبل ١٥ سبتمبر .

لن ندخل القاهرة

وكما كان يبدو لنا ، فإنه بعد تعطيل السلاح الجوى المصرى وهزيمة الجيش المصرى وتشتيته يمكننا التحرك بسرعة وسهولة لاحتلال منطقة قناة السويس .

وأطلقنا على هذه العملية اسم « موسكتير » . . ومع حلول يوم ٦ أغسطس كانت خطتنا قد أعدت . ولكن لم يكن قد أصبح واضحا فى الحقيقة ما اذا كانت هذه العمليات العسكرية ستبدأ على الاطلاق فقد كان أمامها أسابيع طويلة من المفاوضات السياسية والدبلوماسية .

كانت المحادثات الثلاثية قد انتهت من الناحية السياسية وتقرر عقد مؤتمر لندن فى ١٦ أغسطس من الدول التى وقعت على اتفاقية عام ١٨٨٨ وأية دول أخرى يهمها الامر .

وفى يوم الأربعاء ٨ أغسطس خرجنا من كهفنا لنقدم تقديرنا للأمم وخططنا لرؤساء أركان الحرب وكان الاميرال مونباتن يجلس فى مقعد الرئاسة وكانت الغرفة مائة بضباط أركان الحرب وكان عددهم فيما اعتقد ٢٠٠ من الضباط .

وكانت اللحظة هامة بالنسبة لنا نحن قواد القوات التى ستتولى الهجوم . فقد خرجنا بخطة جديدة تماما ومختلفة عن الخطة التى وضعتها اللجنة المشتركة لواضعى الخطط . وكان علينا أن نقنع رؤساء أركان الحرب بخطتنا وبأن الاسكندرية لا بور سعيد هى النقطة المناسبة للهجوم .

هكذا كان التقدير

وكنا نعتقد أن أمامنا يومين لمرحلة الهجوم الجوى ويوما لى نقيم مراكزنا على الشواطىء ويومين لى نشترك مع الجيش المصرى وثلاثة أيام أخرى لى نصل الى القناة . ومع حلول اليوم الخامس نكون قد سيطرنا على المعركة ومع اليوم الثامن نكون قد بدأنا نربط على طول القناة .

وشعرنا بالارتياح عندما قبل رؤساء أركان الحرب خطتنا وأصبحت لنا الحرية فى أن نمضى فى وضع التفاصيل . كان هدفنا محددًا كنا نعتقد أن أسلوبنا سيتيح لنا النجاح العسكرى السريع المضمون وسوف يمكننا هذا من احتلال القناة وإعادة الادارة الدولية . أن احتلال مصر أو الاستيلاء على القاهرة لم يكن محل تفكير ، فالقوات التى يتطلبها هذا العمل كانت أكبر من طاقة القوات التى توافرت فى المعركة .

والآن ، بالنسبة لهذه القوات : الفرقة الثالثة بدأت تتجمع فى سهل ساليسبورى والفرقة العاشرة المدرعة كانت فى ليبيا ولواء الكوماندوز من مشاة الاسطول كان عليه أن يتجمع فى مالطه .

وكان المقرر أن يتجمع لواء القوات التى تنقل بطريق الجو فى قبرص فقد كانت احدى كتابته فى بريطانيا وكانت القوات الفرنسية فى الجزائر .

لم يكن عملا بسيطًا تجميع كل شىء بالقرب من مصر من هذه القواعد المتباعدة .

قوات بلا تدريب

لم يكن جمع الوحدات هو المشكلة الوحيدة كانت هناك كتيبتان من آلاى المظلات فى قبرص تشتركان فى عمليات ضد حركة أيوكا وكان من الضرورى أن ترسلا الى انجلترا للتدريب على القفز بالمظلات اذ أن أعضاءهما لم يقفزا بالمظلات منذ أكثر من عام ولا يمكن للجندى أن يقفز فى قلب معركة دون تدريب . وكذلك كانت هناك كتيبتان من البحرية الملكية تشتركان فى نفس العمليات ومن الضرورى ارسالهما الى مالطة للتدريب على النزول من البحر الى البر وهى عملية لم يقوموا بها منذ ١٠ أشهر ، وكان من الضرورى أن تبلغ

كفاءة قوة النقل التابعة للسلاح الجوى الملكى أعلى درجتها لتتمكن من اسقاط رجال المظلات وكان من الضروري أيضا ارسال أطواف الهبوط الخاصة بالبحرية الملكية من (موث بول) الى مالطة وكان من الضروري كذلك جمع لواء مدرع للفرقة الثالثة ومنح أفرادها الفترة الكافية للتدريب .

وكان كل جندى فى حاجة الى عتاد جديد أو عتاد اضافى وكانت الفرقة المدرعة العاشرة تعوزها العربات وكان من المقرر أن تذهب الى ليبيا ولم تكن لدى الفرقة اغطية للعربات وكذلك لم تكن قوات المظلات وقسوان الكوماندوز التابعة للبحرية الملكية لديها مدافع مضادة للدبابات وكان علينا أن ننتج بعضا منها . ولم تكن لدينا سفينة تستخدم كمقر للعمليات ولا سفينة مستشفى .. وكذلك لم يكن لدينا وقت .

ثم كانت هناك هذه المشكلة : كيف يمكننا انجاز هذه العملية الكبرى سرا ؟ ان امكانيات الموانىء فى قبرص محدودة للغاية والميناء الوحيد فاما جوستا كان يعمل بالفعل بأقصى طاقته لتموين القوات البريطانية فى الجزيرة وكانت المطارات فى قبرص يجرى اصلاحها وينبغى الانتهاء من عمليات الاصلاح سريعا اذا أردنا أن تواجه احتياجاتنا ، وكان علينا أن نعيد اصلاح مطار قديم هو مطار تبمبو الذى كان يستخدم زمن الحرب العالمية وهو مكشوف تماما للأعين .

وكذلك لم تكن مالطة بشوارعها الضيقة وحقولها الصغيرة وسكانها الكثيرين بالمكان الصالح لتدريب أو حشد قوات كبيرة من الجنود وأخيرا قررنا ان نتخطى مشكلة النقل الجوى من قبرص وكان الفرنسيون يعملون بنجاح من تبمبو ، ومن المتفق عليه أن يأتى الهجوم البحرى من مالطة والجزائر ويتابع من المملكة المتحدة والجزائر وليبيا ولم نستسلم لهذه المشكلات وصممنا مهما كانت النتائج أن تبدأ العملية فى موعدها المحدد وهو ١٥ سبتمبر (ومعنى ذلك أن نكون على استعداد منذ يوم ٨ سبتمبر) .

كان الجيش البريطانى فى ذلك الوقت ممتدا عبر مساحة شاسعة فى الراين وقواعد حلف شمال الاطلسى وقبرص لمواجهة منظمة أيوكا والملايو والشرق الأقصى حيث أن لها أهمية بالغة .

فى ١٠ أغسطس صحبنا رؤساء أركان الحرب الى داوننج ستريت لنقدم خططنا الى رئيس الوزراء وزملائه ونحصل على موافقتهم .

أيدن يفتحني الثمة

وذهبنا الى مقر الوزارة ميكرين لنعد خرائطنا وكانت هذه الخطوة مثيرة بالنسبة لى فلم أكن قد ذهبت الى داوونج ستريت من قبل ولقينا من سير أنطونى أيدن كل تشجيع وكان يوجه أحيانا أسئلة ليستوضح نقطة ما ، وشكرنا ومنحنا على الفور موافقته من حيث المبدأ على أفكارنا ورغم أنه كان لابد يعانى متاعب سياسية فانه منحنى الثقة وانصرفت مقتنعا بأن جهودنا قد أثمرت .

وبالرغم من أن التأجيلات والتغيرات الكثيرة التى أدخلت على الخطة فيما بعد قد أحدثت اضطرابا فى قلوبنا العسكرية فأننى لم أكن أدرك وقتها أن الضغوط السياسية التى يتعرض لها رئيس الوزراء سوف تزداد حدتها حتى لحظة بدء العملية .

وعين الجنرال كيتلى الذى كان قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط قائدا عاما للعملية وكان نائبه هو الاميرال الفرنسى بارجو وهذه التعيينات تركتنا نحن قادة قوة الفزو أحرارا للمضى فى استعداداتنا والتركيز على مهمتنا الرئيسية وهى القتال فى المعركة ، وأصبحت الآن قادرا على مباشرة قواتى .

وطرت الى الجزائر حيث أقمت مع الجنرال بوفر وشاهدت الفرقة الأجنبية والفرقة المدرعة الخفيفة السابعة وكانت الفرقتان مستعدين تماما للمعركة ولكن الأولى كانت أكثر كفاءة لأنها حاربت عدة سنوات فى الهند الصينية والجزائر وكان يقودها الجنرال ماسو وهو قائد حازم عنيف لقد كنت سعيدا بلا شك لأنه فى صفنا .

وذهبت الى قبرص وقابلت الفيلد مارشال هاردنج الذى وافق على خططنا رغم أنه كان من العسير عليه أن يساهم ببعض جنوده الأكفاء فى عملية « موسكتير » . وفى نفس الوقت كانت فرقة المظلات قد بدأت تأخذ أهبة الاستعداد والمطارات يجرى توسيعها وتقويتها لتستقبل ذلك العدد الكبير من الطائرات الذى ينتظر استخدامه ، وبعد ذلك ذهبت الى مالطة لإقابلة الاميرال جرانام القائد العام للبحر المتوسط .

وعدت الى لندن فى سبتمبر لأجد فى انتظارى الشكوك حول امكان القيام بالعملية فى ١٥ سبتمبر كما هو محدد . وفى حالة تأجيل العملية يلزمنا اخطار مدته ١٤ يوما لتبدأ مرة أخرى اذ كنا فى حاجة الى ٦ أيام لإبحار القوات المحاربة من مالطة و ١٠ أيام لإبحار القوات من المملكة المتحدة وستة أو سبعة أيام لإبحار

القوات الفرنسية من الجزائر . . والواقع اننا اختصرنا هذه المدة فيما بعد الى عشرة أيام فقط .

وفي نفس اليوم ٤ سبتمبر أجلت العملية أربعة أيام أى الى ١٩ سبتمبر . . وفي يوم ٦ سبتمبر أجلت مرة أخرى سبعة أيام الى ٢٦ سبتمبر وقدرنا اننا لن نتمكن من القبض على زمام العملية اذا تأخرت أكثر من ٢١ يوما . ولكن كانت هناك مشاكل ادارية مختلفة تتجمع ومعنى ذلك أن يوم ٦ أكتوبر هو آخر موعد ممكن لبدء انزال القوات .

حصار اقتصادي

ولذلك نبتت فكرة فرض حصار اقتصادي بطريق الجو والبحر على مصر وتدمير الجيش المصرى بطريق الجو ، وعندئذ يمكننا الهبوط بقوات محدودة لا تواجه أى قوة أو مقاومة يسيرة وكان من المتفق عليه أن يجرى انزال القوات فى بور سعيد وذلك بعد أن استبعدت الاسكندرية كمكان محتمل للغزو .

هذه الخطة الجديدة المعروفة بعملية الفرسان « موسكتير » المعدلة ، كانت تقوم على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : شل السلاح الجوى المصرى .

المرحلة الثانية : شن غارات جوية مستمرة مصحوبة بحرب نفسية لاشاعة الاضطراب فى الاقتصاد المصرى والمعنويات المصرية والقوات المسلحة المصرية .

المرحلة الثالثة : السيطرة على منطقة القناة واحتلالها بقوات برية أو بحرية أو جوية حسبما يستدعى الأمر .

وكانت الخطة تتسع من الناحية الزمنية الى امكان القيام بها حتى آخر اكتوبر . ولم يكن هناك وقت محدد للمرحلة الثانية ، وفى الأصل كان من المقرر أن تستمر المرحلتان الأولى والثانية من ١٠ الى ١٤ يوما .

ومن ناحيتى شخصيا كنت دائما مقتنعا بوجود أن يقترن الهجوم الجوى والبحرى بهجوم برى فلم أكن مقتنعا بأن اطالة زمن الحرب الجوية يمكن أن تحرز النصر ، فقد أثبتت التجربة أن ذلك من شأنه أن يزيد من المقاومة . وكذلك كنت أشك فى جدوى وقيمة الحرب النفسية ، ولكن على أية حال ورغم التعديلات والتغيرات المختلفة سارت العملية النهائية فى نطاق خطة موسكتير المعدلة .

هذا التغيير في الخطة والمدة الطويلة التي أجلت فيها أنتج كثيراً من المشكلات فقد ظلت السفن مشحونة بالعربات والمؤن لأكثر من شهر ، وبدأت بطارياتها في الهبوط وفي حاجة الى صيانة مستمرة وكان من الضروري تفريغ بعض السفن دون أن نتحقق من الموعد الذي يتحتم فيه الإبحار ولم نكن نريد أن نفاجأ بأمر الإبحار وبعض سفننا نصف مشحونة . وفي أوائل سبتمبر طارت كتائب المظلات الى انجلترا وقامت بتدريبات القفز في إيبر ثم عادت الى قبرص . وكان لواء الدبابات السادس يربط في مالطة لينضم الى الهجوم البحري لتأييد مشاة البحرية . أما قوات المظلات الفرنسية فكانت ترابط في قبرص . ولما كانت هذه القوات الضاربة مستعدة لخطة « موسكتير » قبل ٨ سبتمبر فقد كانت على أية حال مستعدة لخطة موسكتير المعدلة . . ولم يكن لدينا فكرة عما اذا كانت خطة موسكتير لها النجاح أو الفشل الفوري ولكننا جاهدنا في مقر القيادة السري لنخرج بنظام معقول للمعركة لمواجهة الخطة الجديدة .

وقد استمرت عمليات التخطيط خلال شهر سبتمبر . وكان الأمر الواضح لنا أننا اذا أردنا أن نضع الخطة في خيز التنفيذ يجب أن تستخدم جميع الامكانيات الموجودة تحت تصرفنا لنفوز بسرعة .

ولقد بدأت قوات الاحتياط كما كان يبدو لنا تشعر بالملل . فقد ظلت هذه القوات تنتظر منذ أوائل أغسطس وكان رد فعلها أمراً لا يمكن تجنبه . كانت هذه القوات قد ابتعدت عن عائلاتها ووظائفها المدنية .

أما مؤتمر لندن فقد انعقد دون أن يصل الى نتيجة محددة وقد رفضت مصر أن تشترك فيه وبرزت حينذاك فكرة انشاء جمعية المنتفعين .

تعديلات مستمرة للخطة

وكان السؤال هو . . هل نقوم بهذا الاجراء ؟ يبدو أن الوقت لم يحن بعد . وفي ٦ أكتوبر تلقى قواد قوة العملية تعليمات باعداد خطة شتوية للموسكتير كان يمكن أن تظل قائمة لأجل غير مسمى . وفي نفس الوقت كان يجب أن تكون على استعداد لبدء العملية خلال عشرة أيام من اخطارنا .

وقد أصدرنا الأمر بالخطوة الشتوية في ١٢ أكتوبر وكانت هذه هي الخطوة الثالثة التي نعدّها في فترة لا تزيد كثيرا عن أربعة أسابيع ، وكانت كل خطة تتضمن الكثير من التفاصيل والتعليمات . . كان هناك جو من الفموض بين الفرنسيين واعتقدت أنه يتعلق بتزويدهم اسرائيل بالأسلحة والمعدات خاصة الطائرات . ولكن هذا لم يؤثر على خططنا أو عملنا . ولم تكن عندى أية فكرة عن أن الاسرائيليين يخططون هم أيضا لعمليات ضد مصر . وطوال اعداد خطة موسكتير لم يكن هناك أى اتصال بهم .

بيد أنه في يوم ١٥ أكتوبر ماتت الخطوة الشتوية وصدرت إلينا الأوامر بأن نستعد لتنفيذ خطة « الموسكتير » المعدلة . وبحلول ٢٠ أكتوبر بدأت أمور تحدث بسرعة وبدأنا نضع اللمسات النهائية لخطة الموسكتير المعدلة وقسمنا المرحلة الثالثة من الخطوة الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : النزول بقوات الهجوم والبدء في التقدم من المدينة .

المرحلة الثانية : ارسال تعزيزات الى بور سعيد والاستيلاء على مطار ابو صوير وفتح القناة حتى الاسماعيلية .

المرحلة الثالثة : احتلال القناة كلها .

وكان المقرر أن تبدأ العملية عند صدور الأوامر بالهجوم الجوى وتبحر في نفس الوقت أساطيل الهجوم من مالطة والجزائر وكذلك قوات التقدم من بريطانيا والجزائر . وكان المفروض أن يشتد الهجوم الجوى أثناء نزول القوات البرمائية في بور سعيد قادمة من الجزائر ومالطة . وسيتم تعزيز العملية كلها بنيران الأساطيل والطائرات المتحالفة .

وصدر الأمر النهائى بالعملية في ٢٤ أكتوبر . وكان يشمل جميع التفاصيل والمواعيد . وفي يوم ٢٦ أكتوبر توجهت بالطائرة الى فيلا كوبلاي خارج باريس للاجتماع بالجنرال بيفر وكنت في ذلك الوقت قد بدأت أشعر في لندن أن الفرنسيين أكثر ادراكا لنوايا اسرائيل منا . وكنت أعتقد أن الجنرال بيفر حريص على أن يقابلنى ليجعلنى أشعر بضرورة الاسراع .

وعلى الرغم من أننى لم اكتشف كل ما يجرى فإنه أصبح واضحا من محادثتى مع الجنرال بيفر أن الاسرائيليين على وشك أن يشنوا هجوما على مصر وأن الفرنسيين يعلمون ما يدبر . واتفقت مع الجنرال بيفر على أن نلتقى في مالطة .

مَسْرُحِيَّةُ إِغَارَةِ إِسْرَائِيلَ عَلَى الْإِزْدَنِ الَّتِي كَشَفَتْهَا مِصْرُ

كان على إسرائيل تقديم (خدمة) لتتحرك حملة مصر . كان عليها أن تقدم لبريطانيا وفرنسا الحجة التي ستضربان بها مصر ..

وبدأت قوات الغزو تتجمع في قواعد قبرص ومالطة وقد كانت هذه مرحلة التمهيد للغزو .. أو المرحلة الأولى في أعداد الحملة .

أما الغزو نفسه فقد كان دوره في مرحلة تالية .. يبدأ بشن الطيران البريطاني هجوما مركزا على المطارات والقواعد المصرية مستهدفا تحطيم قوة الطيران المصري ، وضمان عدم تعرض الحملة للانتقام النفائات المصرية . وعندما يتم تدمير الطيران المصري ، تبدأ مرحلة أخرى وهي مرحلة تحرك قوات الغزو في اتجاه الشواطئ المصرية .. وعندما تصل الحملة الى شواطئ مصر تبدأ في تنفيذ هدفها وهو احتلال مصر .

ولكن فيما بين مرحلة تجميع قوات الغزو ، وتوقيت الهجوم الجوي على المطارات المصرية لتبدأ الحملة في هذه المرحلة كان لابد للحملة المعدة من عمل سياسي ، هو أن تبرر نفسها بحجة ما .. أن تقدم ذريعة لضرب مصر لتشير الانتباه ، ولو لبعض الوقت ريشما تتحرك الحملة وتحقق غرضها في أيام .

وكانت الحملة في حاجة الى « ذريعة » تبرر بها نفسها أمام الرأي العام العالمي ..

وفي الايام الأولى بعد التأميم ، اعتقد ايدن أن حدث التأميم - في حد ذاته - يمكن أن يقدم له حجة مناسبة ليحقق هدفه وهو استرداد مصر للقناة فقد اعتقد أنه يمكنه تبرير الحملة بحجة العمل على احترام الاتفاقات الدولية والعمل على حرية الملاحة بالقناة .. كما اعتقد أنه يمكنه بشيء من التدبير - التحجج بأن مصر غير قادرة على ادارة القناة بنفسها مما يعطل الملاحة الدولية بها .

وهكذا اعتقد ايدن أنه يملك حجة مناسبة لتبرير حملته ضد مصر ولقد عمل ايدن على توجيه الاحداث لتخدم حبكة ذريعته المأمولة .

فبينما كان القادة البريطانيون والفرنسيون يعدون خطط الغزو رحب
ايدن بعقد مؤتمر في لندن (المؤتمر الاول في ١٦ أغسطس) وكان يعتقد أن
هذا المؤتمر يمكن أن يقدم خدمة لذريعة حملته . وعندما سافر منزيس
رئيس وزراء استراليا على رأس لجنة خماسية تمثل المؤتمر لمقابلة عبد
الناصر وعرض نتائج مؤتمر لندن عليه .. وقتها اعتقد ايدن أن تدبيره يسير
في طريق النجاح .

كيف ؟ ..

كان على لجنة منزيس أن تقدم تقريراً الى عبد الناصر . ثم يحدث
الآتى كما توقع ايدن :

يرفض عبد الناصر هذه الاقتراحات لأن القاهرة لا يمكن أن تقرر تسليم
قناة السويس لشركة دولية أخرى جديدة .. وعندما ترفض القاهرة هذه
المقترحات . كان ايدن يعتقد أن هذا العمل يعطى لذريعتيه كل البررات ..
بإظهار أن « الدولتين المعتديتين (بريطانيا وفرنسا) قد استنفدتا كافة
الوسائل السلمية ولم يبق أمامها الا القوة .. تلك هى الحبكة التى أعد لها
ايدن » ..

ولكى يزداد احكامها لم يكتف ايدن بمجرد تأخير سفر بعثة منزيس الى
القاهرة . ثم تأخير موعد تقديم اللجنة لتقريرها الى يوم ٧ سبتمبر (خطة
موسمكير موعدها ١٥ سبتمبر) لم يكتف ايدن بدور لجنة منزيس وتأخير
موعد سفرها .. انما عمد الى اجراء آخر يدعم ذريعتيه المطلوبة .

لقد دفع ايدن « شركة القناة المؤممة » لاصدار امر الى المرشدين
الاجانب بالانسحاب من قناة السويس .. وكان يأمل أن يؤدى انسحاب
المرشدين الى تعطيل الملاحة ، ويجد حجة أخرى تدعم ذريعة حملته ضد
مصر ..

ولكن ذريعة ايدن المطالبة فشلت ..

سارت الملاحة فى القناة بلا تعطيل .. وطلبت الادارة المصرية للقناة فى
(سبتمبر) من القوات البحرية تدعيم مرشديها بأربعة وعشرين ضابطاً
بحرياً من « ذوى الكفاءة الخاصة » وكانت القوات البحرية المصرية تحتاج
لكل ضابط لديها لتواجه حركات الاسطولين البريطانى ، والفرنسى فى شرق
البحر المتوسط .

وبنجاح الادارة المصرية فى ادارة الملاحة بالقناة فقدت لندن الكثير من

جوانب ذريعتها .. علاوة على وقوف جزء هام من الراى العالمى الى جانب مصر .. وأدت كل هذه التطورات الى انهيار الذريعة التى أعد لها ايدن منذ اليوم التالى للتأميم . وغابت الفرصة الذهبية لاسترجاع مصر ، للمرة الثانية .

فى هذه الظروف ظهرت اسرائيل كمنفذ لحملة مصر .. ليس فقط بتدعيم الحملة ولكن بتقديم الشرط المطلوب الناقص لتحرك الحملة .. وهو الذريعة المنشودة .

كان ايدن قد فقد مبررات « الهجوم المباشر » على مصر بعد استمرار الملاحه فى القناة رغم سحب المرشدين الاجانب ، وكان رأى عام عالمى قوى يؤيد موقف مصر ، ولم يعد امام حملة مصر سوى الماضى فى طريق آخر .. ليس مباشرا كما كان مقدرا .. ولكنه طريق يمكن أن يؤدى فى النهاية الى تحرك الحملة نحو شواطئ مصر متذرعة بحجج أخرى .

بدأت الحملة تبحث عن طريق خلفى أو طريق غير مباشر يوصلها لمصر .. وهنا كان دور اسرائيل .. أن تقدم للحملة هذا الطريق أو هذه الخدمة

وقد كان اعتقاد باريسر أن اسرائيل يمكنها تقديم هذه الخدمة .. وعلى هذا الأساس قدمتها الى الشريك الآخر (بريطانيا) فى اجتماعات لندن السرية يوم ١١ سبتمبر .

كيف تم ادخال اسرائيل فى دائرة التآمر على مصر ؟ .

يشرح التاريخ العربى هذا الدور كالاتى ، يبين ما برر ادخال اسرائيل كشريك ثالث فى حملة مصر :

« لو أن اضطرابا ما حدث (مثلا) على الحدود الاردنية الاسرائيلية واشتبكت اسرائيل ثم تدخلت مصر مندفة بحماسها المتوقع لاستطاعت الدولتان (بريطانيا وفرنسا) أن تدخلتا المنطقة لضرب مصر وقض النزاع .. ولن يوجه اليهما أى لوم من حليفتهما أمريكا ، أو من عدوهما روسيا ، أو من العالم أجمع » .

وبمعنى آخر .. فقد كان على اسرائيل اشعال النيران لتتدخل بريطانيا وفرنسا كرجال مطفاء مهمتهم اخماد « الحرب القسرية » التى نشبت بين اسرائيل من جهة والعرب ومصر من جهة أخرى . ومن خلال مهمة رجال المطفاء يتخلى رجال المطفاء عن مهمة اطفاء الحرب ... ويتجهون الى

الفرض الأساسى وهو « تدمير القوات المصرية واحتلال القناة ومصر » ..
أى استرجاع مصر .. وكان معنى هذه الخطة عودة الى أفكار الربيع الذى
مضى .

وهكذا عندما انتهت اجتماعات لندن التى استمرت يومى ١٠ و ١١
سبتمبر لم يكن ما اتفقت عليه لندن وباريس هو مجرد تعديل خطة موسكتير
الاولى لتصبح خطة موسكتير المعدلة وليصبح اتجاه الفوز فى بور سعيد
بدلا من الاسكندرية ..

فلم تكن هذه هى كل التعديلات .. حقيقة أوضحت الخطة موسكتير
المعدلة دور كل من بريطانيا وفرنسا .. ومهام قواتهما ..

فقد أسندت خطة موسكتير المعدلة الى القوات الفرنسية مهمة احتلال
شاطئ بور فؤاد .. واختصت القوات البريطانية بفزو بور سعيد ..
وعندما يتم لقوات الفوز احتلال بور سعيد وبور فؤاد كان عليها التقدم فى
زحف مشترك لاحتلال مدينة الاسماعيلية .

وأیضا تضمنت الخطة موسكتير المعدلة تعديلا آخر فى توقيت الفوز ..
فقد كان موعد الفوز طبقا للخطة موسكتير اولى هو يوم ١٥ سبتمبر عندما
يبدأ أسطول الفوز فى ضرب الاسكندرية ثم أصبح توقيت الفوز فى الخطة
الجديدة هو يوم ٢٦ سبتمبر .. موعد تحرك الحملة الانجليزية الفرنسية
لضرب مدينة بور سعيد .

كان هذا الجزء من خطة موسكتير المعدلة خاصا ببريطانيا وفرنسا ولكن
لم يكن هو كل ما حملته الخطة من تفاصيل .. كانت الخطة تتضمن دورا
خاصا بالشريك الطموح اسرائيل الذى دخل فى اعتبار حملة الفوز ولاول
مرة منذ التأميم - وكان على اسرائيل أن تسبق فرنسا وبريطانيا فى أداء
دورها كمحرك للذريعة .. كان دورها يبدأ قبل موعد غزو بور سعيد ، بمدة
أسبوع أى فى الفترة ما بين يوم ١٦ ويوم ١٨ سبتمبر .

ولم يكن هذا الدور الذى ستلعبه اسرائيل بجدية عليها .. فقد رسم
هذا الدور لها بما يناسب أفكار بن جوريون الخاصة التى تضمنتها خطته
المقدسة قادش (الخطة التى أعدها لحرب مصر منذ خريف عام ١٩٥٥)
وكان كل ما هو مطلوب من اسرائيل أن تنفذ هذه الخطة بعد ادخال تعديلات
عليها ليتم الالتحام ما بين الخطة الاسرائيلية المقدسة وبين الخطة البريطانية
الفرنسية موسكتير المعدلة .

كان على إسرائيل تعديل اتجاه بدء هجومها .. كان عليها أن تجري مجرد تعديل خداعي في نقطة بدء الهجوم .. وذلك بأن تتجه الى شن اغارة قوية على الاردن بينما تكون قد أعدت قواتها الرئيسية في انتظار ما ستقدم عليه مصر .

توقعت الخطة تحرك مصر لمساعدة الاردن ضد إسرائيل .. وأعطت لحركة مصر أهمية خاصة علقـت عليها كل خطوط تنفيذ الحملة .. فمن خلال المساعدة المصرية للاردن كان ذلك يعنى الحرب بين مصر وإسرائيل .. بينما إسرائيل قد أعدت قواتها الرئيسية لهذه اللحظة .. وتوقع راسمو الخطة أن بإمكان إسرائيل استغلال اعدادها الحسنة لقواتها في هزيمة الجيش المصرى بسيـئاء .. ثم مطارـدته حتى ضفة القناة .. ووقتها تأتى اللحظة الحاسمة ، تحدث حالة صراع مسلح على مشارف القناة .. وتجد بريطانيا وفرنسا الذريعة المطلوبة (لتتحرك الحملة تحت « رداء » البوليس الدولى وليس المعتدى الفاشم) .

تحددت خطوط خطة الغزو .. ولكن جاءت مطالب أخرى .. وكانت هذه المرة من إسرائيل . فعندما عرضت الخطة موسكتير المعدلة عليه طالب بن جوريون ببعض المطالب .. فلم يكتف بن جوريون بذلك التنسيق الذى تم بين قيادة موسى ديان الاسرائيلية وبين قيادة الجنرال ايلو الفرنسى ولم يكتف بن جوريون بقيام الطائرات الفرنسية بتزويد القوات الاسرائيلية بالاسلحة والمعدات أثناء حربها بسيـئاء ، لم يكتف بن جوريون بهذا القدر من التعاون وانما قدم مطالب أخرى ثلاثة هى :

أولا : زيادة قدرة المعونة البحرية والجوية البريطانية لإسرائيل .

ثانيا : تزويد إسرائيل بمطالبها من الاسلحة والمعدات الحربية .

ثالثا : ترك تحديد بدء العدوان لمشيئة إسرائيل .

فبدلاً من تقييد بن جوريون بموعـد يبدأ فيه تحرشاته بالاردن للايقاع بمصر فى المدة ما بين ١٦ ، ١٨ سبتمبر .. أراد بن جوريون الانفراد بتحديد موعـد تنفيذ الخطة ..

وتحدد موعـد مبدئى للتنفيذ فى أول أكتوبر أو نهاية الاسبوع الاول منه لتقوم القوات الاسرائيلية بالهجوم على الاردن لتضع لمصر « الطعم » الذى يجذبها الى الشرك .

وجرت الاحداث بعد ذلك فى تصاعد « كأحداث سريعة » ..
فمنذ يوم ١١ سبتمبر بدأت اسرائيل تثير الاضطرابات « المقصودة
على حدود الاردن » .

ومن جهة اخرى بدأت لندن تساهم من جانبها فى اثارة ما يحدث على
الحدود الاردنية تصوره وكان وكان الموقف يتزايد خطورة .. ففى مساء
اليوم نفسه (١١ سبتمبر) نصح السفير البريطانى فى عمان موظفيه بمغادرة
الاردن فوراً ما دام لا يوجد سبب جوهري لبقائهم .

وسارت اسرائيل تؤدى دورها وازداد التوتر الموقف .. بينما أقدم
الملك حسين من جانبه على خطوات اخرى .. ففى يوم ١٣ سبتمبر استدعى
الملك حسين رؤساء البعثات الدبلوماسية لبريطانيا وفرنسا وأمريكا
للإجتماع به وطالب منهم ابلاغ حكوماتهم بتفاصيل الاعتداءات الاسرائيلية
.. ثم استدعى الملك رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية .. وخرج بعدها
ليحضر اجتماعاً عاجلاً طارئاً للجنة الدفاع العليا .. وامتد نشاط الملك
حسين الى اليوم التالى (١٤ سبتمبر) .

سافر الى الحبانية لمقابلة ملك العراق ونورى السعيد ..

وبينما كان الملك فى الحبانية بالعراق شنت اسرائيل اغارة جديدة على
غرندل .. وكأنها تؤكد أن ما يجرى حقيقى ومثير وخطير .. واستمرت
تواصل اغاراتها طوال شهرى سبتمبر واکتوبر .

كانت كل هذه الوقائع كأنها تنذر بالعاصفة التى تتجمع فوق حدود
الاردن .. بينما كان هذا التوتر يعد نجاحاً للدور الذى تقوم به اسرائيل
بينما أقدم الملك حسين على خطوة جديدة وكأنه صار قلقاً على بلده . فقد
بدأ يطالب بمساعدة عربية للاردن .. ولكن هنا لم يتقدم حسين بطلب
المساعدة من مصر وانما تقدم بهذا الطلب الى العراق ..

وقد كان من الممكن أن تمر هذه الخطوة .. لكن رد الفعل جاء مثيراً
فى اسرائيل .. ففى يوم ٧ اكتوبر حذرت جولدا ماير وزيرة خارجية
اسرائيل .. ووضح من تصريحها وكانت اسرائيل يمكنها أن تقدم على
خطوة ..

وفى اليوم التالى جاء رد على جولدا ماير . ولكن هذه المرة من العراق
.. فقد رد نوري السعيد على الانذار الاسرائيلي بالتهديد ..

ولم تنتظر إسرائيل طويلا .. وفي اليوم التالي لتهديدات نوري السعيد تعرض مركز قايقيلية الاردنى لاغارة اسرائيلية ..

وعندما انسحبت القوة الاسرائيلية كانت قد فقدت ١٦ اسرائيليا ، بينما احدثت في الجانب الاردنى خسارة ٤٨ اردنيا علاوة على كثير من الجرحى من الجانبين ، ودعا الملك حسين الوزارة الاردنية الى الاجتماع به .

وتكررت الاحداث فى اليوم التالى .. هددت اسرائيل من جديد .. وبدا الموقف وكأنه وصل الى قمة التوتر .. ثم فجأة صرح ممثل السفارة البريطانية فى اسرائيل بأن هناك جيوشا بريطانية على وشك دخول الأردن « لحمايته طبقا لنصوص الحلف البريطانى الاردنى » .. وبعد ذلك هدأت النيران التى تشتعل .. وهدأت الاحداث بسرعة مثيرة .. خلال أربع وعشرين ساعة تحولت اسرائيل من موقف التهديد الى موقف المتراجع .. وهدأت النيران على حدود الاردن ؟ ؟ .



ما هى حقيقة ما جرى على حدود الاردن خلال شهرى سبتمبر و اكتوبر عام ١٩٥٦ ؟ .. لماذا اشتعلت النيران فجأة على حدود الاردن واسرائيل .. وفجأة خمدت سريعا ؟ ؟ ماذا كان يجرى اعداده على حدود الاردن ؟

فى الخطة موسكتير المعدلة اجابات لهذه التساؤلات .. فقد بنيت الخطة على قيام اسرائيل بجر مصر الى معركة فى سيناء .. وقد كان على المعركة أن تشتعل على حدود الاردن ثم تنتقل جذوتها الى ضفاف القناة ولقد رتب كل الظروف للتغريب بمصر . الاغارات الاسرائيلية المتكررة . التدخل البريطانى وتهديد اسرائيل .. كلها أحداث أعدت أمام المتفرج الوحيد « مصر » لاقناعه بأن ما يجرى عند الاردن حقيقى .. وخطير وينتظر دورا منه ولكن السؤال الذى يفرض نفسه الآن هو دور نوري السعيد فى أحداث الأردن فى عام ١٩٥٦ . هل كان دوره عفويا بلا تدبير ؟ ؟ أم كان دور نوري السعيد هو امتداد لحديثه لايدن ليلة التأميم وهو يجب على سؤال ايدن عما يكون عليه الرد على عبد الناصر .. فيقول نوري « اضربه .. واضربه بشدة واضربه الآن ؟ والا .. فماذا كان الهدف من مؤامرة الاردن ؟ » .

ويجب التاريخ العربى لحرب السويس ؟ ..

« كان الهدف بسيطا واضحا : ان كلا من انجلترا وفرنسا كانت تأمل من وراء هذه الاضطرابات المرسومة أن تستفز القاهرة لترسل جيوشها الى

سيناء لتعمل ضد اسرائيل وتساعد الاردن المهددة . فالفرصة لاشك جذابة أمام مصر للهجوم على اسرائيل فها هو العراق ينوى الهجوم على اسرائيل ، وها هي انجلترا ترغب أيضا في الوقوف الى جانب الاردن ضد اسرائيل .

هل يمكن تجمع عدة عوامل مشجعة للهجوم مثلما تقدم تصريحات نوري السعيد وتصريحات ممثل لندن في اسرائيل ؟ ألم تكن هذه الظروف حافزة لمصر لتلعب دورا معدا لها ؟ ..

رغم كل هذا .. لم تتحرك مصر .. يقول التاريخ العربي للسويس :
رغم دهاء هذه الخطة وعمقها ، فان الفرصة المرتقبة لم تسنح للمعتدين لسبب واحد بسيط وهو أن مصر قد فطنت الى الأمر فلم تشن هجوما على اسرائيل وفوتت الفرص على الدهاة .

ماذا ؟ ..

لأنه اذا قامت مصر بهجومها فان انجلترا تكون قد واتهات الفرص للتدخل انها تستطيع ببساطة أن تدخل الميدان وتعلن عن رغبتها في « الفصل بين الجانبين » اللذين يسببان القلاقل في المنطقة المشحونة بالآخطار وبهذا يتصف دور انجلترا بالعمل البوليسي النظيف .

وفشلت حبكة مسرحية حدود الأردن وبالتالي فقدت الحملة المعدة لغزو مصر الذريعة التي تنتظر صنعها على حدود الأردن .. ولم تسقط .. الذريعة بسبب أن مصر لم تندفع وتهاجم اسرائيل فقط .. انما شاركت اسرائيل بنفسها في اسقاط هذه الذريعة . فرغم حماسها الذي تبلور في يوم ٥ أكتوبر بتعليمات داف الوف موسى ديان رئيس هيئة الأركان العامة الاسرائيلية التي تضمنت اعادة الحياة الى خطة قادش المقدسة ، وتضمنت الخطة ذلك النص الذي يحدد للقوات الاسرائيلية هدفها ، وهو « أن تحتل قوات جيش الدفاع الاسرائيلي شمال سيناء » وتشبث بخط دفاعي على الضفة الشرقية لقناة السويس .. خالقة مبررات التدخل الانجليزي الفرنسي .. رغم هذا الحماس .. فقد تراجعت اسرائيل عن مهاجمة الأردن .. ولم تحرك قواتها .. واكتفت بما أثارته من أغيرة الخداع على حدود الأردن » .

وفقدت حملة مصر ذريعتها بتراجع اسرائيل عن اداء دورها على الحدود الأردنية لكن هل توقف التفكير في حملة مصر ؟ .. وفجأة وجد حل آخر يفتح الطريق مرة أخرى أمام العدوان .. وبدأت اجراءات الاستعدادات العسكرية التي توقفت .

كيف بدأ العدوان؟

كيف بعثت الحملة ؟ ..

وماذا حدث في أسبوعى أكتوبر الأخيرين « ونفخ الحياة » فى حملة مصر ؟ ..

هذه قصة مشيرة لهث خلفها كتاب ورجال صحافة يحاولون تجميع خيوطها وأحداثها ، كأدوار المحقق الذكى فى فيلم مشير . محوره جريمة غامضة .. لكنها لم تكن جريمة قتل رجل .. بل جريمة قتل من نوع أخطر .. جريمة تواطؤ لضرب شعب ..

توالى أحداث القصة منذ منتصف أكتوبر بتسلسل .. لكنها وقعت فى أماكن متغيرة بتغير وقوع حدث جديد ..

بعد عودة الهدوء الى الحدود الأردنية الإسرائيلية وقف بن جوريون فى الكنيسة الإسرائيلية (البرلمان) يعلن أن مصر هى الخطر الحقيقى على إسرائيل ، وليس الأردن .

وفى ٢٠ أكتوبر طار ايدن الى فرنسا واجتمع بجى موليه ..

وفى يوم ٢٣ أكتوبر ظهر بن جوريون وشمعون بيريز وموشى ديان فى الشانزليزيه وأثار ظهورهم المفاجئ بباريس فضول الصحفيين ..

وفى يوم ٢٩ أكتوبر - بعد أقل من أسبوع - تحركت ١٦ طائرة داکوتا إسرائيلية من مطار عقير الإسرائيلى بتل أبيب .. تحمل قوة مظلات إسرائيلية .. وفى الساعة الخامسة الأربعا بدأت الطائرات تحلق فوق ممر ميتلا المصرى على شكل ٤ موجات .. وكل موجة ٤ طائرات .. ثم بدأ هبوط المظلات وألقت كل طائرة ٢٥ مظلياً .. وبدأ العدوان الإسرائيلى على بعد ٦٥ كيلو مترا من القنّاة .

وفى الساعة السادسة من مساء اليوم التالى صدر الإنذار البريطانى الفرنسى يطالب مصر بقبول « الاحتلال المؤقت للمواقع الحيوية فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس » ..

وفى السابعة مساء يوم ٣١ بدأ الهجوم الجوى البريطانى الفرنسى ..

فهل كانت هناك « عقدة » تجمعت عندها كل هذه الأحداث لتفسر ما حدث بعد يوم ٢٩ أكتوبر ؟ .. أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ تساؤلات كصف من علامات الاستفهام التي يثيرها محقق يضعها أمامه وهو يدرس قضية جريمة مثيرة وغامضة .

في هذا الصدد .. البحث عن عقدة الجريمة ، قدم الصحفي البريطاني مالكوم ماجريني تحقيقاً مثيراً قام به . فقد قام بتتبع تنقلات وحياة الشخصيات المسؤولة ، في لندن ، وباريس ، وتل أبيب ، طوال الفترة ما بين ٢٢ أكتوبر (قبل ظهور بن جوريون بباريس) ويوم ٢٥ أكتوبر .. خرج الصحفي البريطاني بنتيجة : وهي أن لقاء تم بين جميع المسؤولين في إسرائيل وباريس وشهده مسئول بريطاني وكانت نتيجة اللقاء .. الاتفاق الأخير على دور كل من الأطراف الثلاثة في العمل الذي سيتحرك ضد مصر .

ولقد تعددت القصص عن هذا اللقاء السري الذي جرى في إحدى ضواحي باريس .. وأطلق البعض على فترة اللقاء هذه اسم الساعات الذهبية لأنه بعدها عاد بن جوريون من باريس ليصدر أمراً بوضع الخطة الإسرائيلية للهجوم على مصر موضع التنفيذ ..

فلماذا تم في سيفر ؟ .. وماذا ناقشه ممثلو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ؟ ..

اجتمعت قصص عديدة على أن بن جوريون ظل يتحدث في فيلا ضاحية سيفر عن مخاوفه من قوة الطيران المصري ، وخوفه من ضرباته المضادة الانتقامية ، لو قامت إسرائيل بهجومها على مصر وتنفيذ دورها ولم يكتف بن جوريون بذلك بل طالب بتعهد كتابي من بريطانيا - بالذات - .. لدخولها الحرب ضد مصر ، مهما كانت نتائج مفاوضات جنيف (التي كانت .. ستجريها مع مصر يوم ٢٩ أكتوبر) .

وتقول القصة العربية لحرب السويس ما يأتي عما حدث في سيفر :
« في يوم ٢٢ أكتوبر سافر بن جوريون إلى باريس ومعه شمعون بيريز من وزارة الدفاع الإسرائيلية وموشى ديان ، وأقלטهم سيارة إلى إحدى ضواحي باريس وتسمى سيفر .. وكان بينو داخل الفيلا ومعه مسئولان فرنسيان آخران هما بورجيس موتري وإيلي توماس . حيث دار اجتماع ضم الستة عرض فيه بن جوريون مطالبه وشروطه لدخول الحرب .
« واستؤنفت الاجتماعات في اليوم التالي وحضرها هذه المرة جي موليه

وتفهم مطالب بن جوريون السياسية والعسكرية الخاصة بتأمين عمليات اسرائيل وحماية مدنها وسواحلها .

« وعصر يوم ٢٣ أكتوبر وصل سلوين لويد وباتريك رين الى سيفر ، ووضع الأطراف الثلاثة النص النهائي لاتفاقية سيفر (لتحريك العدوان) الذى تضمن النصوص التالية :

١ - تقوم اسرائيل بمهاجمة سيناء بالقوة ويكون هدفها الابتدائى هو الوصول الى مشارف القناة فى أقصر وقت ممكن (لتستغلها بريطانيا وفرنسا كذريعة للتدخل) .

٢ - توفر القوات الجوية الفرنسية الحماية الجوية لاسرائيل كما توفر القوات البحرية الفرنسية الحماية البحرية للمياه الإقليمية الاسرائيلية وتقوم القوات الجوية البريطانية بتدمير المطارات والطائرات والأهداف العسكرية المصرية ..

٣ - تصدر بريطانيا وفرنسا انذارا مشتركا لكل من مصر واسرائيل لوقف أعمال القتال والابتعاد عن القناة ، مع قبول مصر احتلال منطقة القناة احتلالا مؤقتا بواسطة القوات الانجلو فرنسية لحماية الملاحة البحرية فيها . على أن يصدر الانذار عندما يذيع راديو اسرائيل نشرة اخبارية يعلن فيها أن وحداتها المتقدمة موجودة فعلا عند مشارف القناة . وبذلك يكون أمامها اثنتا عشرة ساعة لكى تصل الى خط العشرة أميال (شرقى القناة) .

٤ - تدافع فرنسا عن موقف اسرائيل فى الأمم المتحدة ، وفى نفس الوقت تبذل بريطانيا جهودها بصفة سرية بالاتصالات الخاصة لمساندة اسرائيل دون أن تكتشف علانية عن ذلك حتى لا يضار مركزها فى الوطن العربى .

ولقد أراد بن جوريون هذه النصوص الأربعة مكتوبة وموقعا عليها من مسئول بريطانى .. وكان لابد من موافقة ايدن . وظلت الاتصالات مستمرة ما بين لندن وباريس ليلة ٢٤ أكتوبر .. ووصلت أخيرا موافقة ايدن ، وكلف باتريك دين بالتوقيع باسم بريطانيا وبن جوريون عن اسرائيل ، وكريستيان بينو عن فرنسا ..

وانتهت اجتماعات الساعات الذهبية باتفاقية سيفر التى صارت فى

شكلها النهائي في اليوم التالي . وتحفظ أخير اتفاق الاطراف الثلاثة على عدم عرضها على برلمانهم أو نشرها مستقبلا .

* * *

هل معنى الاتفاقية أن العدوان كان وليد اجتماع سيفر فقط ؟ ..
والاجابة .. لم تكن اتفاقية سيفر سوى لمسات أخيرة اتمت وضع خطة العدوان في شكلها النهائي . وقد جاء هذا الاجتماع بناء على رغبة بن جوريون .. وبعد أن أظهر بن جوريون مخاوفه من نتائج الهجوم الاسرائيلي على سيناء على أساس أن خطة العدوان بنيت على أساس أن تقف اسرائيل وحدها في الميدان أمام مصر لمدة ٣ أيام ، حتى تهدد قناة السويس وتعطى لحملة مصر مبرر التدخل ..

وبالرغم أن بن جوريون كان هو باعث فكرة حملة مصر بعد توقف استعداداتها في منتصف أكتوبر بفشل فتح الحدود الأردنية ، عندما أعلن بن جوريون في الكنيست « أن مصر هي الخطر » .. وكان معنى كلامه أن اسرائيل تستعد لعمل مباشر ضد مصر .. ثم تأتي الحملة البريطانية الفرنسية متذرة بنتائج هذا العدوان .. ورغم أن ايدن ظل يدرس الفكرة الاسرائيلية الجديدة لعدة أيام خلال الاسبوع الثالث من أكتوبر ، حتى اقتنع بالفكرة الاسرائيلية وامكان الاستفادة منها في تحريك الحملة . لكن حدث بعد ابلاغ بن جوريون بالخطة الجديدة انه أظهر مخاوفه بينما كانت الاستعدادات العسكرية البريطانية والفرنسية قد استؤنفت في قاعدتي قبرص ومالطة .. ومن هنا عقد مؤتمر سيفر لارضاء بن جوريون ولم تكن الساعات الذهبية في سيفر سوى « مشددة أخيرة » لعقدة التواطؤ الثلاثي .

* * *

لكن التواطؤ كان له آثار أخرى ظهرت في مكان أبعد بكثير من باريس انها قصة من وثائق وزارة الخارجية العربية أقل أهمية ، لكنها تضيف الى قصة التواطؤ دلالات أخرى تؤكد التآمر .. وهذا الدليل جاء من طرف بعيد عن المؤامرة ، ولم يكن له من دور سوى ، أن أحداث التآمر الثلاثي كلفتني بعض التضحية .. لقد كان شاهد الاثبات هذه المرة دولة افريقية هي اثيوبيا صاحبة قصة عن التواطؤ .

ففي أواخر أكتوبر عام ١٩٥٦ قدم السفير الاثيوبي بباريس احتجاجا .. لوزارة الخارجية الفرنسية على اقدام السلطات الفرنسية بميناء

جيبوتى .. بالصومال الفرنسى بمصادرة سفينتين اثيوبيتين هما السفينة « كاترينا ماردى » والسفينة « ايبانيا » ثم قيام السلطات الفرنسية بانزال اطقم السفينتين من البحارة الاحباش واستبدالهم بـ ٧٢ بحارا فرنسيا .

حدث هذا فى اواخر اكتوبر . وفى يوم ٥ نوفمبر وصلت السفينتان كاترينا ماردى وايبانيا الى مياه خليج العقبة تحملان اسلحة وامدادات وتموينا للواء الاسرائيلى وصل الى منطقة شرم الشيخ المصرية بعد أن بدأ العدوان الانجليزى الفرنسى يوم ٣١ اكتوبر ..

هل كانت عملية الاستيلاء على السفينتين الاثيوبيتين فى اواخر اكتوبر فى ميناء جيبوتى ثم ظهورهما يوم ٥ نوفمبر تحملان الامدادات الى شرم الشيخ مجرد صدفة بحتة ؟ .. هل كان توقيت الاستيلاء غير معد ليتمشى مع ضرورة امداد اللواء الاسرائيلى الذى تقدم ٦٠٠ كيلو متر حتى وصل شرم الشيخ اكان هذا الحادث صدفة عابرة وليس اثباتا لتواطؤ تم نتيجة لتنسيق معد بين اطراف التواطؤ .



وما حدث بعد ذلك .. هو اعداد آخر يقوم به كل طرف من اطراف التواطؤ الثلاثة بالدور المرسوم له ..

تحركت قطع الأسطول الفرنسى كريسانت وسيركوف ويوفيه وجورج ليجوس فى اتجاه اسرائيل ، للقيام بحماية سواحلها تنفيذا لما تم فى سيفر .

وفى يوم ٢٣ اكتوبر تحرك الطيران الفرنسى الى المطارات الاسرائيلية .. تحرك الجناح ٦٤ نقل جوى من طراز (نورد من قوات حلف الاطلنطى من قاعدة سان ديزيه الفرنسية الى مطار اللد الاسرائيلى .. وتحرك الجناح الثانى مقاتلات ستير (١٤) من ديجون الى حيفا . وتحرك الجناح ٦٤ نقل جوى من طراز (نورد اطللس) الى حيفا . وفى يوم ٢٨ اكتوبر وصل ٦٠ طيارا فرنسيا الى ميناء حيفا . وقبلها فى اوائل اكتوبر كانت الاسلحة الفرنسية تتدفق على اسرائيل . ووصل الى اسرائيل ٣٦ طائرة ميستير ١٤ ، ٣٠٠ دبابة سوبر شرمان ، ٣٠٠ ناقلة جنود مدى ٦/٦ و ٢٠ ناقلة دبابات علاوة على ١٠٠ دبابة قدمتها فرنسا فى اوائل عام ١٩٥٦ .

الدوريات في سيناء

وبالنسبة لاسرائيل - كان عليها أن تقوم بالدور المطلوب منها وهو « خلق حالة تهديد عسكري على القناة » .. لتقدم مبرر التدخل البريطاني الفرنسي .. ولأن خطة التواطؤ الأولى قد تغيرت ولم يعد الهدف الاغارة على الاردن لتوريط مصر ، وانما اختصرت المساهمة الاسرائيلية لتهاجم مصر مباشرة فقد استدعى ذلك تغيير الخطة الاسرائيلية القديمة قادش . وبدأ القادة الاسرائيليون في وضع خطة جديدة تضع كهدف لها الوصول الى شواطئ القناة بأسرع ما يمكن ليتمكنها خلق الذريعة المطلوبة .. ولكي تخدم القيادة الاسرائيلية هذا الغرض فقد وضعت خطة تقوم فيها قواتها على أساس عدم مواجهة المواقع المصرية في سيناء ، وتفضيل الدوران حولها لتتابع سيرها سريعا صوب شواطئ القناة .. وهكذا قامت اسرائيل باسقاط مظاهراتها على بعد ١٥٠ كيلو مترا عند سدر الحيطان وفي اقرب مكان من شواطئ القناة يمكنها الوصول اليه .

أطلق القادة الاسرائيليون على خطتهم الجديدة اسم قادش المعدلة وبنيت الخطة على أساس قيام القوات المسلحة الاسرائيلية ، (بالتعاون مع القوات الانجليزية الفرنسية) بالقضاء على القوات المسلحة المصرية بمواقعها في المنطقة رفح - العريش - جبل لبنى - القصيمة .. ثم تطور الهجوم وتستغل النجاح وتصل الى مسافة ١٥ كيلو مترا من قناة السويس ..



أقر بن جوريون هذه الخطة يوم ٢٥ اكتوبر .. وفي الساعة الثانية الا ربعا أصدر موسى ديان رئيس هيئة الأركان العامة الاسرائيلية تعليمات تنفيذ الخطة الى ادارة العمليات الاسرائيلية ..

توضح تعليمات موسى ديان غرض الهجوم الاسرائيلي طبقا للنص الحرفي لتعليماته :

الغرض ..

- (أ) خلق حالة تهديد عسكري على القناة باحتلال اغراض مجاورة لها ..
- (ب) احتلال مضائق ايلات (أى مضيق خليج العقبة) .

(ج) احداث ارتباك في تشكيل قوات المصرية الموجودة في سيناء .
ثم تشرح التعليمات الخطة .. فتبدأ بأمر عام يحدد توقيتها .
يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ الساعة ١٧.٠٠ « الخامسة مساء » .
وبعدها تنتقل الى تحديد طريقة تنفيذ الخطة .. وتقسيمها لراحل :

١ - المرحلة الاولى « ليلة ٢٩ / ١٠ - ١٠ / ٣٠ » .. أى ليل بدء العدوان
وفيها تقوم القوات الاسرائيلية ب :

احتلال مواقع الطرق عند صدر الحيطان باستخدام المظلات
(قوة ممر ستيل) .

٢ - المرحلة الثانية .. فى ليل ع + ١ أى (ليل ٣٠ - ٣١ اكتوبر) وفيها
تقوم القوات الاسرائيلية بالآتى :

- التقدم فى محور رأس النقب - شرم الشيخ .
- الاستيلاء على القسيمة .

٣ - المرحلة الثالثة .. ليلة ع + ١ (ليلة ٣١ اكتوبر - أول نوفمبر)
والايام التالية وفيها تقوم القوات الاسرائيلية ب :

- احتلال مضائق ايلات (العقبة) .

● التقدم صوب القناة والتشبت بخط يبعد عنها بمالا يقل
عن ١٥ كم .

وفى اليوم التالى (٢٦ اكتوبر) صدرت تعليمات أخرى الى البحرية
الاسرائيلية والطيران الاسرائيلى تحدد لهما أدوارهما .. وفى تلك التعليمات
التي صدرت للطيران الاسرائيلى ملاحظة .. فبينما حددت ، التعليمات
للطيران الاسرائيلى مهمته بالدفاع الجوى عن سماء اسرائيل من خلال
اليومين الأولين من الحرب . فقد أعطت التعليمات الجوية فيما بعد مهمة
مساعدة القوات البرية الاسرائيلية الأهمية الأولى على باقى العمليات ابتداء
من ليل ٣١ اكتوبر (ليل بدء الهجوم البريطانى الجوى) ..

ومضت اسرائيل تستكمل خطوات تنفيذ دورها .. فقد حددت قوات
الهجوم التى يرأسها القائد ألوف (عميد) اساف سمحونى قائد المنطقة
الجنوبية وصدرت اليه تعليمات مشابهة لتعليمات الخطة الأصلية ..
وخصصت للهجوم مجموعات الأولوية ١ و ٤ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٦
و ١٧ و ٢٦ مشاه والواء خاتيفاتى وثلاثة ألوية مدرعة هى ٧ و ٢٧ و ٣٧

علاوة على ١٤ كتيبة مدفعية ميدان ومتوسطة ، وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات وأخرى مضادة للطائرات ولواء مهندسين ، وأربع كتائب تحال علاوة على ضم رئاسة مجموعة العمليات ٣٨ و ٧٧ لقيادة سمحوني واللواء ٢٠٢ مظلات :

تضم القصة العربية تفاصيل أخرى كبيرة ومتعددة للهجوم الاسرائيلي .. تفاصيل توضح تقسيمات قوات الهجوم واحتياطاتها وقادة وحداتها .. لكن ما يهم في الخطة الاسرائيلية انها اشتملت على ثلاث مراحل ، في أول مرحلة كان عليها أن تبدأ هجومها الى أبعد أرض ممكنة داخل سيناء . مع الجيش المصري ..

وبعد ذلك في مرحلة متأخرة (تكون الحملة الانجلو فرنسية تحركت) تبدأ القوات الاسرائيلية في مواجهة المواقع المصرية ورغم أن اهمالها لشأن المواقع المصرية كان يشكل خطرا كبيرا عليها واحتمال تطويقها ..

وعلى تعبير القصة العربية .. الم يكن هذا الاندفاع الاسرائيلي بدون النظر الى احتمال التطويق يعني أن لدى اسرائيل « ثقة مطلقة بأن تدخل آخر سوف يزيل عنها خطر قوات مصر الرئيسية في القناة » ؟

ومضت باقى الاستعدادات الاسرائيلية .. في يوم ٢٥ أيضا وفي المساء صدر امر بتعبئة القوات الاسرائيلية بطريقة سرية خلال خمسة أيام فقط .. تبدأ ليل صدور الأمر (الجمعة ورغم انها ليلة توقف اليهود عن ممارسة أى عمل) وتتم يوم الثلاثاء .. وقبل انتهاء التعبئة بيوم يبدأ الهجوم .. أى يوم الاثنين .. وتم تعبئة ما يقرب من ٦٠ ألف اسرائيلي للهجوم المعد ..

وفي الخامسة من مساء ٢٩ اكتوبر تحركت ١٦ طائرة داكوتا تحمل المظلات الاسرائيلية لاسقاطهم فوق ممر ميتلا .. بينما تحركت مجموعة العمليات ٣٨ .. الاسرائيلية تضم اللواء الرابع مشاه ومجموعة اللواء السابع المدرع ، مخترقة الحدود المصرية في اتجاه القسيمة ..

وتحرك اللواء التاسع المشاه الاسرائيلي في اتجاه رأس النقب .. بينما كان على باقى مجموعة اللواء ٢٠٢ مظلات الالحاق برا بكتيبته التى سبقته الى سدر الجيطان ، ثم يشترك اللواء مع كتيبته في الاستيلاء على ممر ميتلا وبعدها يدفع اللواء مجموعة قتال للاستيلاء على سور والتقدم الى مدينة الطور المصرية .

وهكذا رسمت القيادة الاسرائيلية اللواء المظلات مهمة خلق ذريعة التدخل

البريطاني الفرنسي . فقد حددت « للواء الذريعة » مهمة التقدم الى شواطئ القناة ..

ولكن حتى في مهمة اللواء ٢٠٢ مظاهرات الاسرائيلي .. لواء الذريعة .. هناك قصة .

فطبعاً لاتفاقية سيفر كان على اسرائيل أن تبدأ بمهاجمة سيناء ، تحاول التقدم سريعاً ، وفي أقل وقت ، وبأى وسيلة لتصل الى شواطئ القناة .. وقتها تستطيع بريطانيا وفرنسا التدخل بأى حجة لحماية القناة أو الفصل بين المتحاربين .. ولذلك كانت مهمة هذا اللواء الاسرائيلي تقديم الذريعة .. وفي الخطة الاسرائيلية أختيرت كتيبة من كتائب لواء المظاهرات ٢٠٢ لانزالها في أقرب مكان من القناة ..

وحتى يوم ٢٨ اكتوبر كان محدداً كمكان لانزال الكتيبة ، غرب ممر ميتلا على مسافة لا تزيد على ٣٥ كيلو متراً من شواطئ القناة .. ولكن هذا المكان تغير عندما حُلقت طائرة استطلاع اسرائيلية فوق الأراضى المحيطة بالممر .. وأبلغت عن وجود مجموعة من أكشاك قريبة من مكان اسقاط المظلات في غرب ممر ميتلا .. وقد فسر ذلك قادة اسرائيل بأن الأكشاك لابد انها معسكر مصرى .. وقرروا استبدال منطقة غرب الممر القريبة من القناة الى منطقة شرق الممر على بعد ٦٥ كيلو متراً من القناة ..

ولقد أعترض بعض معاونى ديان على هذا التغير ، الذى لن يخدم الذريعة المطلوب من اسرائيل تقديمها وكانت اجابة ديان « وقت المعارك تنوه الحقائق ، ولا تهتم التفاصيل لتبرير غزو مصر » !

وتغير مكان اسقاط المظلات من غرب ممر ميتلا الى شرقه .. ولم تكن هذه الأكشاك التى غيرت أفكار القيادة الاسرائيلية سوى أماكن عينت لمجموعة من العمال المصريين يعيدون رصف طريق يمر بالممر !

ولقد بدأت اسرائيل دورها .. مندفعة باللا وعى تريد رؤية أمواج القناة ..

فلم يكن مطلوب منها أكثر من هذه المهمة ..

فماذا كانت أفكار الغزو نفسه ؟

وماذا كانت أفكار بريطانيا وفرنسا عن حملة مصر ؟!

٣ عواسل اعتمدت عليها خطة الغزو.. ثم خابت

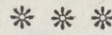
في الصباح المبكر من يوم ٥ نوفمبر بدأ الغزو .. هبط جنود المظلات البريطانيون والفرنسيين فوق أرض بور سعيد في مناطق الجميل والرسوه وبور فؤاد . وعندما كان رجال المظلات الفرنسيون يهبطون فوق بور فؤاد كان بينهم رجل لا يحمل بندقية أو مدفعا ، بل كان يحمل بدلا من البندقية قلمه وأوراقه اللازمين لعمله كمراسل حربى مرافق لحملة الغزو . وعاش المراسل الحربى الصحفى الفرنسى شالار فافريل -، وهذا هو اسمه - يشارك الجنود الفرنسيين المعركة .. يحتفى معهم بالحفر والخنادق من نيران المدافع الرشاشة المصرية . وعندما هدأت المعركة بعض الوقت خرج فافريل من مخبئه ، واتصل تليفونيا بصديق أجنبى له يقيم بالقاهرة وفي نهاية المكالمة التليفونية قال فافريل لصديقه .. انه سيمصل الى القاهرة بعد أيام وعليه أن يعد زجاجات الويسكى لتكون في انتظاره عند وصوله القاهرة ..

ولكن فافريل لم يصل الى القاهرة ، ولم ير صديقه الأجنبى فقد عاد الى قبرص لمرافقة قوة أخرى من رجال المظلات ستقوم بمهمة سرية في مصر ووصل الى قبرص ولم يعد لمصر .. لسبب .. وهو أن حملة مصر توقفت في بور سعيد ثم تجملت في مكانها ثم فشلت وانسحبت .

هذه القصة يرويها أزو المؤلف الفرنسى لكتاب فح السويس ثم يعلق عليها بقوله « ان ما يفكر فيه الانسان شئ وما يفعله القدر شئ آخر » .. لكن ما يشير الانتباه في قصة فافريل تلك الثقة بالنفس والثقة في نجاح حملة غزو مصر والتي تبدو من خلال الاتصال التليفونى الذى أجراه فافريل .. فتفاؤل فافريل لم يكن خاصا به وحده ، وانما كانت هذه صفة لازمت كل قادة حملة غزو مصر جميعا ..

ولقد طلب فافريل من صديقه بالقاهرة اعداد زجاجات الويسكى .. لكن تفاؤل قادة الحملة ذهب الى أبعد من ذلك . فبينما كان الغزو يقترب من مصر ، وقبل أن تمس قدم جندى بريطانى أو فرنسى أرض بور سعيد وقتها ذهبت الثقة الزائدة بالنجاح لدى الجنرال بارجو نائب القائد العام للحملة الى حد أنه أرسل برقية لتشجيع طلائع الغزو يقول لهم « هيا بنا

الى بور سعيد فعندما نصل الى مدخل قناة السويس ، نصبح سادة الموقف » .. هكذا كان الشعور عاما لدى قادة الحملة بأن غزو مصر ما هو الا نزهة لطيفة على شواطئ القناة ستتم سريعا ، بمجرد شن غارات جوية تسبق جنود الغزو ، وبعدها يأتى جنود المظلات يهبطون فوق شواطئ بورسعيد تتبعهم سفن الغزو .. وعندما ينزل جنود الحملة الى الشواطئ تكون كل قنبلة أسقطت على مصر ، قد فجرت قنبلة أخرى من الخوف لدى المصريين . ولذلك يجد جنود الحملة أقل مقاومة أمامهم وهم يتقدمون عبر مدن القناة .. وسريعا يحققون هدف الغزو فى أيام ويسترجعون مصر كلها .



وهكذا حددت الخطة الانجليزية الفرنسية النهائية خطوات حملة الغزو .. وطبقا للنص الحرفى لخطة الغزو « موسكتير » المعدلة النهائية كان الغزو سيتم كالاتى :

فى المرحلة الاولى للغزو يقوم الطيران البريطانى الفرنسى بغارات .. جوية مستمرة على مصر ، تستمر لمدة ستة ايام ، ابتداء من اليوم الثالث للهجوم الاسرائيلى على سيناء (الذى بدأ يوم ٢٩ اكتوبر) .

فى المرحلة الثانية .. وفى حماية مدافع الأسطولين البريطانى والفرنسى وهجمات الطيران .. تبدأ قوات الغزو تقترب من بور سعيد للاستيلاء عليها وتحتل جزءا من أرض بور سعيد عرضها عشرة كيلو مترات وتمتد الى عمق ٤ كيلو مترا الى داخل الشاطئ المصرى بعدها كمنطقة « رأس الشاطئ » التى ستستقبل قوات الغزو التالية .. وطبقا للخطة يتم تحقيق هذا الهدف فى خلال يومين .

وبعد اتمام هذه المهمة تطور قوة الغزو هجومها متجهة الى مدينة الاسماعيلية ، الهدف التالى لها .

هذا عدا الشق الأول من خطة الغزو موسكتير المعدلة النهائية أو ما عرف باسم (الخطة أ) .. وكانت هذه مهمة البريجادير البريطانى بتلر الذى أسندت اليه قيادة أول قوة تهاجم بور سعيد .. وتتكون من مجموعة اللواء ١٦ مظلات ، كتيبتين وآلاى مظلات من الفرقة العاشرة ، وهذه القوة مهمتها اقتحام منطقة بور سعيد من الجو ، والاستيلاء على مخارج المدينة والأهداف الحيوية بها .. وكاستطراد لشرح خطة الغزو بأسلوب عسكرى .. كان من المقرر أن تتبع قوة البريجادير بتلر ، قوة

أخرى تأتي فوق ظهور سفن الأنزال لتدعيم موقف قوة المظلات التي ستلقى الصدمة الأولى مع الدفاعات المصرية ؟ .. وكانت هذه مهمة الرير ادميرال البريطاني هولاند مارتن .. الذي أسندت له قيادة قوة الغزو البحري .. المكون من اللواء ٣ الفدائيين البحريين ، رئاسة الفرقة العاشرة المظلات وكتيبة من الفرقة ، اورطة دبابات خفيفة ، ٣ كتائب فدائيين بحريين .

وحتى الآن يتركز كل الحديث حول « الخطة .. » من خطة الغزو والقوات البريطانية الفرنسية التي كلفت بتنفيذها بالتقدم الى بور سعيد ثم تطوير الهجوم للاستيلاء على مدينة الاسماعيليه .. والى هذا الحد من خطة الغزو كان لدى القادة البريطانيين والفرنسيين تفاؤل غريب بإمكانية نجاح الحملة .

كانوا يرجحون إمكانية الاكتفاء بهذا الجزء من الخطة .. ليتحقق هدفهم النهائي وهو .. استرجاع مصر .. وكانت لهم دوافعهم التي ذهبت بهم الى التفكير بشكل يقترب من أحلام اليقظة .. وكان القادة البريطانيون والفرنسيون يعتقدون أن كل العوامل في جانبهم .. وأن كفة الانتصار ترجح نجاح الحملة باعتبارهم أن خططهم تضمنت أكثر من عامل حاسم يلعب لصالحهم .

اعتقدوا أولا أن حملة الغزو وصلت في القوات والاستعداد الى أقصى الدرجات . وأمكنهم حشد قوات هائلة للعمل ضد مصر وقواتها المسلحة مما يشير الى أن ضربتهم ستكون قوية وهائلة .. وبمعنى آخر كان قادة الغزو يملكون عامل التفوق المادي على القوات المصرية ..

واعتقد القادة أن تدابير الخداع التي أحاطت بحملة الغزو قد وصلت في أحكامها الى حد لا يترك أي ثغرة في الفخ المعد لاقتناص مصر . وأنها لا بد ساقطة في الفخ .

واعتقدوا أن هناك ورقة ثالثة ستلعب لصالحهم بعد استمرار الاغارات الشديدة على المدن المصرية ، وسرعان ما تأتي هذه الورقة بنتائجها عندما تسقط قنابل الأسطول فوق منازل بور سعيد وتندوى طلقات رصاص جنود الحملة خلال الطرقات .. فتلك الورقة التي أعطوا لها أهمية ودورا في خطة الغزو هي .. شعب مصر نفسه .. وهذه قصة ثالثة ..

ولنبدأ الحديث بالعوامل الأولى في خطة الغزو .. عامل التفوق في الاستعدادات والقوات ..

لقد كان تفوق الحملة البريطانية الفرنسية أمراً حقيقياً وظاهراً .. وقد بدأت الاستعدادات للحملة منذ اليوم التالي للتأميم .. ففي الأسبوع الأول من أغسطس استدعت بريطانيا ١٢٥ ألفاً من جنود الاحتياطى .. وفى فرنسا ، وبعد تعبئة جزئية أمكن استدعاء ٥٠ ألف جندي ، وبعدها بدأت قوات الغزو تتدرب فى سهل سالزبورى بجنوب بريطانيا . ثم جرى إرسال الجنود الى قواعد الغزو فى مالطة وقبرص .

ومن أجل استكمال استعدادات الغزو تم الاستيلاء على سفن تجارية لتعمل فى خدمة الحملة ومن أجل تدعيم الهجوم الجوى تمت زيادة أعداد الطائرات التى تحملها حاملات الطائرات البريطانية لتحمل من ٥ الى ٦ أسراب بدلا من السربين أو الثلاثة الأسراب المعتادة التى تحملها الحاملات فى الظروف العادية .

وفى خلال الأسابيع الأخيرة السابقة على الغزو تحركت مجموعات كبيرة من المقاتلات والقاذفات البريطانية والفرنسية متجهة الى قواعد قبرص ومالطة ..

وهكذا عندما بدأ الهجوم الجوى على مصر مساء يوم ٣١ أكتوبر كان عدد الطائرات التى تغير على مصر كالاتى :

طائرات بريطانيا :

- ٩ أسراب قاذفات فى قواعد لوقا وهالفار بمالطة .
- ٩ أسراب قاذفات فى قاعدة نيقوسيا بقبرص .
- ٢ سرب مقاتلات فى نيقوسيا .
- ٥ أسراب مقاتلات فى اكورتيرى بقبرص .
- ٢ سرب استطلاع جوى بالصو فى اكورتيرى .
- ١ سرب استطلاع جوى فى لوقا .
- ٧ أسراب نقل جوى فى تمبو بقبرص .
- ١ سرب امداد جوى واتصال .

والمجموع ٣٥ سرباً ونصف سرب .. اذا أضيف إليها ١٣ سرباً من القاذفات فوق أسطح ٣ حاملات طائرات بريطانية ثم وحدتان من طائرات هليوكبتر للاقتحام فوق ظهر حاملتين آخرين ، ثم ٦ أسراب أخرى رابضة فى قواعد

بريطانية قريبة من مصر بالأردن أو عدن .. من هذا كله .. يتضح أن
لبريطانيا ٥٥ سربا ونصف سرب ووحدتى اقتحام هايوكبتر وكان هذا العدد
كله موجها لخدمة حملة مصر .

ولو أضيفت لهذه الأرقام قوة الطيران الفرنسى المخصصة لحملة مصر
.. وقد بلغت الآتى :

٢١ سربا فى قواعد قبرص واسرائيل .

٣ أسراب تعمل من فوق ظهور حاملات الطائرات الفرنسية .

يكون مجموع قوة الطيران الفرنسى ٢٤ سربا .

ولو أضيف الرقم الفرنسى لقوة الطيران البريطانى لأصبح المجموع
٧٩ سربا ونصف سرب .. كلها للهجوم على مصر من الجو .. ولو حاولنا
ترجمة هذا الرقم من أعداد الطائرات .. نجد السرب البريطانى يضم من
١ الى ١٢ (اثنى عشر) طائرة . وهذا يعنى أنه عموما تعرضت مصر
لهجوم ٧٩٥ طائرة الى ٩٥٤ طائرة نفائة .

وفى البحر .. أعدت حملة الغزو البحرية لتضم خمس حاملات طائرات
بريطانية تعمل كمطارات متحركة تقترب من الشواطئ المصرية .. وهى
الحاملات ايجل ، تيسوس ، بولو آرلت ، البيون ، أوشن .. بالإضافة الى
٥ طراد ، ١٢ مدمرة ، ٧ فرقاطة ، ٧ غواصة ، ٤ كاسحة ألغام ، سفينة
لبث الألغام ، ١١ ناقلة جنود ، ١٤ سفينة لانزال الجنود والديابات
ومجموعة أخرى من السفن بينما قدمت فرنسا لأسطول الغزو البحرى
البارجة جان بارت ، حاملتى الطائرات لا نيت وأروماشن ، ٢ طراد ،
٤ مدمرة ، ٨ فرقاطة ، ٢ غواصة ، وفى البحر الأحمر كانت قوة بحرية
أخرى مكونة من الطراد اينوفولاند والمدمرتين كرين وديانا البريطانيتين
والمدمرة جازيل الفرنسية .

ولم تكن هذه هى كل القوة المعدة لحملة مصر .. فقد كانت اسرائيل
قد سبقت غزو بور سعيد بهجومها على سيناء تصنع الذريعة المطلوبة ..
وكانت اسرائيل قد حشدت للهجوم على الجيش المصرى بسيماء قوة مكونة
من ١٨ لواء مشاة ومدرع ، ١٠ كتائب نجال ١٦ كتيبة مدفعية ، ١٩٢
طائرة مقاتلة و ٥٠ طائرة أخرى قاذفة قنابل ، ٢٣ طائرة نقل ، ٥٥ سفينة
بحرية وزورق ووحدات أخرى مساعدة .

ولو جمعت الحشود البريطانية والفرنسية والاسرائيلية التي وجهت ضد مصر خلال العدوان الثلاثي لوضح ان القوة التي هاجمت مصر كانت هائلة تحقق نصر التفوق بشكل مؤكد وبإحصائية أخيرة تبين القوى التي تهاجم مصر يبدو أن مصر تعرضت :

لهجوم يضم ٣٨ لواء من جنود المشاة ومن المدرعات يعتمد على قوة ضاربة تتكون من ٧٥٠ دبابة .. وتقدمت الحملة تحت طائرات ٢٥١٠ مدافع .. وبدأ غزو شاطئ بور سعيد في ظل فوهات مدافع بارجة و ٨ طرادات و ٢٠ مدمرة و ٢٠ فرقاطة و ٢٢ لنش طوربيد ترافقها ٩ غواصات وعملت ١٣٤ سفينة أخرى في خدمة الحملة تحمل جنودها وتموينها وذخائرها .. وطائراتها .. وتم هذا كله في حماية ٢٨ سربا من المقاتلات و ٢٥ سربا من قاذفات القنابل .. كما ساهم في سرعة امداد الحملة ١٩ سربا من طائرات النقل الجوي .. وقام ٩ أسراب ونصف سرب من طائرات الاستطلاع تسبق اقتراب الحملة من مصر للاستكشاف علاوة على خدمات سربين هليكوبتر اقتحام و ١٥ سربا للامداد الجوي .

ان هذه الأرقام تعكس صورة كاملة لذلك الحشد الرهيب من الجند والسلاح الذي تحرك محيطا بمصر مع نهاية أكتوبر ١٩٥٦ ولكن لم يكن اعداد الحملة بهذا التفوق الكبير هو كل شيء في خطة الغزو . فلم تتقيد الحملة في استعدادها بنمط الهجمات الهتلرية الهائلة التي تعرضت لها أوروبا في الحرب الثانية .. ف بجانب التفوق الهائل في السلاح اعتمدت الحملة على عامل آخر .. هو الخداع ..

كيف ؟ ..

لقد جرى الاعداد للحملة من خلال شبكة ممتدة من الخداع تخفى قوة الغزو نفسه .. كانت مسرحية الأردن جزءا من الخدعة .. فبتكرار الاعتداءات الاسرائيلية على حدودها ظهر كان « العين » على الأردن لا مصر .. وقد كانت أحداث الأردن في بداية أكتوبر كفيلة بالتأثير على نقطة مصر .. لكن مسرحية الأردن لم تكن كل الخدعة . فقد لعب ايدن أيضا دور رجل البوكر أى وجه الرجل الذى ينطق بتعابير مخالفة لما يبطن .. ففى اليوم الذى هاجمت فيه اسرائيل سيناء كان نفس اليوم الذى س يلتقى فيه لويد بوزير الخارجية المصرية محمود فوزى لوضع تسوية نهائية لمشكلة قناة السويس .. ولزيادة الخدعة ألغت لندن قبل تحرك العدوان حالة التمهئة التي تعيشها الفرقة العاشرة في قواعد ليبيا ، وكأنها تريد

اقناع مصر بأن كل فكرة لاستخدام العنف قد انتهت .. وعندما تحرك أسطول الغزو من قبرص ومالطة يوم ٢٥ أكتوبر أعلن أن الغرض من تحركاته هو القيام بالتدريبات السنوية المعتادة في عرض البحر . وكجبة أخيرة للخدعة صدر التصريح البريطاني الشهير بعد بدء العدوان الاسرائيلي على سيناء يؤكد .. ان بريطانيا لا تنوى التدخل فيما يجري بين مصر واسرائيل . وكان هذا التصريح تشجيعا لمصر للصيد المطلوب لتدخل المصيدة المنصوبة في سيناء . ثم تأتي الحملة البريطانية الفرنسية الى بور سعيد لتقفل باب المصيدة على الجيش المصري في مؤخرته .

ولقد لعب عامل الخدعة دورا أساسيا في تفكير قادة الحملة وهم يقتربون من بور سعيد .. ففي أكثر من يوم فكر قادة الحملة في الإسراع بغزو بور سعيد ليصبح العالم أمام الأمر الواقع .. وهو وصولهم الى بور سعيد واحتلالهم لها قبل الموعد الأصلي المحدد لتنفيذ خطة الغزو موسكتير المعادلة النهائية . وقد اعتمدت معظم هذه الأفكار الطارئة للإسراع بغزو بور سعيد على اعتقاد راسخ بأن الخدعة قد نجحت . وان القوات المصرية الرئيسية متورطة داخل سيناء . وأصبح الطريق عبر القناة سهلا بلا مقاومة الدبابات المصرية . وأنه عندما يجري غزو بور سعيد تأتي الخدعة بنتائجها . يرتبك الجيش المصري بعد أن توجه له ضربة من الخلف من الهجوم البريطاني الفرنسي ، ولما كان الجيش كالرجل على حد تعبير ليدل هارت فهو محتاج للدوران الى الخلف ليستخدم ذراعيه ليدافع عن نفسه وهذا الدوران يفقد الجيش عنصر التوازن كما يحدث للرجل .. وفي لحظات الارتباك يبدأ غزو بور سعيد بقوة محدودة من قوات المظلات ويتم احتلال المدينة سريعا بلا مقاومة ، بعد أن يسبق هذا الهجوم غارات عنيفة على بور سعيد تدمرها كبيض مكسور .. وسميت هذه الخطة باسم مشتق من البيض المضروب وهو « أومايت ١ » ثم تعدلت الى الخطة « أومايت ٢ » أو الخطة ساملكس كما اشتهرت .



ولقد اعتقد قواد الحملة بضرورة الإسراع بغزو بور سعيد ليس فقط تحت تأثير الاعتقاد بأن طريقهم عبر القناة أصبح مفتوحا بنجاح خدعتهم واعتقادهم أن القوات المصرية الرئيسية متورطة داخل سيناء أمام الجيش الاسرائيلي .. ولكن كان هناك عامل آخر له تأثيره .. هو العامل الثالث أو الدور المطلوب من شعب مصر ..

فطبقا لخطة الغزو الأصلية موسكتير المعادلة النهائية .. كان مقدرا

يوم ٦ نوفمبر كتوقيت لبدء غزو بورسعيد ولكن منذ صدور الانذار البريطاني الفرنسي لمصر (يوم ٣١ أكتوبر) بدأت لندن وباريس تلحان في الاسراع بالغزو ليس لوضع العالم امام الأمر الواقع فقط ولكن لاعتقاد آخر .. هو توقعهم حدوث شيء داخل مصر .. أن تنتهى المقاومة المصرية سريعا بتأثير الاغارات الجوية . وترتفع الأعلام البيضاء فوق المدن المصرية . وتفتح الأبواب أمام الحملة .. ولذلك رأى قواد الغزو أنه لا بد من خطة لتحرك قوات الحملة سريعا الى مصر لتكون في انتظار الثمرة عندما تسقط بعد نضجها .. وحتى تتولى الحملة أمر مصر وتسير أمورها . ولقد كانت هذه هى أحد الأهداف الرئيسية للخطة « ساماكس » ..

وليس معنى ذلك أن خطة الغزو الرئيسية موسكتير المعادلة النهائية قد صرف النظر عنها .. وانما ظلت هذه الخطة هى أساس الغزو بينما كانت هذه الخطط الطارئة « أولميت ١ وأولميت ٢ » أو « الخطة ساماكس » كانت هذه الخطط توضح الأفكار الخيالية للندن وباريس عن مصر وشعبها .. بل لقد اعتمدت خطة الغزو الرئيسية موسكتير على عامل التأثير على شعب مصر وبت الشق الثانى من الخطة أو ما يسمى (بالخطة ب) على رد فعل شعب مصر فى مواجهة الحرب .. واعتمد القادة من لحظة تعديلهم لاتجاه الغزو من الاسكندرية الى بورسعيد على الدور المطاوب فى خيالهم .. من شعب مصر . ولذلك حرصوا على تقسيم خطة الغزو الى الجزء (أ) والجزء (ب) .. وظلوا يعتقدون أن هدفهم سيتم بتقديم الغزو من بورسعيد الى الاسماعيلية .. وسريعا يحدث كل ما هو مطاوب وتفتح الأبواب امامهم . ويترك المصريون سلاحهم . ويتم استرجاع مصر .

وكاحتمال آخر (ظنوا أن تحققه ليس مؤكدا) .. أن يقاوم شعب مصر ويستमित فى قتال حملة الغزو .. تنفذ الحملة الجزء أ و « الخطة ب » من خطة موسكتير النهائية . وفيها كان على الجنرال هيوستوكويل قائد القوات البرية للحاق بطلائع الغزو الأولى التى يقودها بتلر والريير ادميرال .. مارتن .. لينضم اليهما بالفرقة ٣ المشاة اللواء ٥٠ و ٥١ المشاة المستقل وكتيبتان من مجموعة اللواء ١٦ المظلات والآلى ٦ المدرع وآلاف سيارات مدرعة وكتيبة من الفرقة الأجنبية الفرنسية والآلى ٧ الخفيف ثم تلحق قوة هيوستوكويل بالقوات التى سبقته الى الاسماعيلية ويتجه الجميع لمهاجمة القاهرة فى شكل كماشة .. أحد حديها يمتد من السويس الى القاهرة حيث ستتقدم القوات الفرنسية من الاسماعيلية .. والحد الآخر مكون من القوات البريطانية التى ستتقدم الى أبو صوير ثم الى القاهرة ..

ولقد أعدت كل تدابير التأثير على معنويات شعب مصر .
كان الضغط الاقتصادي الذى تلا التأمين مباشرة وسيلة الخنق ..
وكانت اذاعة أخبار الاستعدادات العسكرية وترديد نفمة التهديد
وسيلة أخرى ..

وكانت الحرب الإذاعية التى وجهت ضد مصر وأسندت الى الضابط
البريطانى البريجادير برنارد فيرجوسن وسيلة رابعة .
وكان سبيل المنشورات الذى غمر المدن المصرية يحمل أسلوب التودد
ثم ينقلب الى أسلوب التهديد وابرز الأنياب وسيلة خامسة ..
وكانت الاغارات الجوية الشديدة وسيلة رئيسية اعتمدوا عليها لتفجير
قنبلة أخرى من الخوف فى قلب كل مصرى ..

لكن ماذا حدث ؟ ..

اجابة ندركها جميعا اليوم .. حتى وهم التأثير على شعب مصر كان
نتيجة تجربة ساذجة عاشتها بريطانيا يوم غزو مصر فى القرن الماضى ..
كان لديها الخديوى الذى تتبع ضرب الاسكندرية من قصره على الشاطئ
وكان فى مصر عملاء طموحون ينظرون للحكم مثل سلطان باشا . أممًا شعب
مصر نفسه لتكفى شهادة عرابى عنه فى خطاب له بعد الاحتلال البريطانى
يقول فيه : « النفقات التى تكلفها ١٠٠ ألف جندى مصرى أثناء الحرب
قد دفعتها كلها هبات اكتب بها الشعب المصرى . بالرغم من أن عدد
الجيش لم يزد على ١٠ آلاف جندى تحت السلاح عند ابتداء الحرب ، ثم
ينهى عرابى خطابه : « عند انتهاء الحرب كان فى خزائن الجيش والمديريات
والمخازن ما يزيد على مليون جنيه . تبرعت بها الأمة للجيش الذى يافع
عن بلاده » .. كان هذا هو موقف شعب مصر من قبل ولم تدركه
بريطانيا .

وفشل الغزو رغم كل ما جمعه من رجال وسلاح .. وبرغم الخديعة
.. ولعل أفضل تعليق على نهاية الغزو الاستعمارى هو كلمة أذو « ان
ما يفكر فيه الانسان شيء . وما يفعله القدر شيء آخر » ..
لكن .. هل كان القدر وحده هو الذى أنهى قصة حملة مصر فى أحلك
ظلمات الفشل ؟ ..

أين كانت مصر من كل هذه المؤامرات والخطط التى كانت تدبر
لغزوها ؟ ..

هل كانت أحداث نهاية اكتوبر مفاجأة غريبة عليها ؟ ..

٣ احتمالات عسكرية أمام القيادة المصرية

سؤال منطقي بعد ذلك السرد المتشابك لخطط الغزو العديدة ابتداء من خطة قادش الى خطط غزو الاسكندرية هاميلكار وموسكتير الأولى . حتى تحددت خطة الغزو نهائيا وتعطى لاسرائيل دور الطعم الذي يشد انتباه مصر الى تلال سيناء ثم تأتي الحملة البريطانية الفرنسية الى بورسعيد ، تقفل طريق العودة على الجيش المصرى وتجد الطريق الى القاهرة مفتوحا بلا مقاومة جديدة ..

هل غفلت القاهرة عن كل هذه الخطط ؟

هل جرتها الخدعة الى سيناء ليقع جيشها في المصيدة ؟

والا فآين كانت مصر اذن من كل هذه المؤامرات ؟

هنا لابد لشرح موقف مصر في الفترة التالية للتأميم ، وتوالى تهديدات لندن وباريس .. من عرض لصورة التيارات التى أحاطت بمصر من كل جانب ، تحمل معها عدة احتمالات . ولقد كان السؤال الملح فى الأسابيع الأولى للتأميم والذي يعرض أمام القاهرة يحاول تفهم (نوايا كل هذه التهديدات التى تبشر بالغزو والبحث عن الاتجاه المحتمل أن تسلكه حملة الغزو الموجهة ضد مصر) ..

وفى محاولات استكشاف اتجاه الغزو المحتمل كانت الصورة المحيطة بمصر تبدو أكثر تعقيدا . وتبدو مصر داخل خريطة الشرق الأوسط فى ملتقى عدة اتجاهات كل منها يصلح لأن تسلكه الحملة القادمة لغزو أراضيها .. وبالتحديد كانت طبيعة موقع مصر الجغرافى ، وطبيعة حدودها تشير الى وجود ثلاثة طرق رئيسية يمكن أن يأتى منها الغزو .

ثلاثة طرق إلى مصر

كان الطريق الأول يأتى من وراء أمواج البحر المتوسط .. من جزيرة قبرص ومن شواطئ اسرائيل ومن قواعد حلف بغداد .. وقد كان قدوم الحملة من هذا الاتجاه - الشمالى الشرقى - يوصلها الى أهم أهدافهم المطلوبة فى مصر .. وهى القناة .. وعلى طول هذا الاتجاه كانت لبريطانيا أو اسرائيل أكثر من قواعد عسكرية يمكن أن تبدأ منها حملة الغزو .. ومجموعة أخرى من المطارات الحربية تزيد على الثلاثين .

وكاحتمال آخر .. كان هناك اتجاه الريح العكسية التى تهب على شواطئ مصر تدفع الأشرعة فى النيل الى الجنوب بحركتها القادمة من الشمال الغربى .. ومن اتجاه هذا الريح العكسية كان احتمال الطريق الثانى للحملة قادما من عشرات القواعد العسكرية المنتشرة على طول ساحل افريقيا على البحر المتوسط (وقتها) وخلفها مالطة والشواطئ الفرنسية نفسها . وفى مواجهة ذلك الطريق مدينة الاسكندرية ثانى المدن المصرية .. بما تحمله من أهمية ، ومن تأثير لو سقطت فى يد الحملة .

أما الطريق الثالث .. وان كان أكثر صعوبة .. الا ان القدوم منه محتمل وفى نقط عديدة منه تمتد بامتداد ساحل مصر على البحر الأحمر ، ابتداء من رأس بناس جنوبا الى السويس شمالا .. وخلف هذا الساحل الى الجنوب فى نهاية البحر الأحمر هناك القاعدة .. البريطانية فى عدن والقاعدة الفرنسية فى الصومال الفرنسى ثم ٨ قواعد منتشرة على أرض الجنوب المحتل ومن شرق افريقيا الى الخليج العربى .. وعلى طول هذه المنطقة هناك أكثر من ٤ مطارا حربيا يمكن استخدامها ..

تلك كانت أهم الطرق المؤدية الى مصر ..

فمن أى الاتجاهات ستأتى حملة غزو مصر ؟ ..

ان كل طريق من هذه الطرق الثلاثة يؤدى الى غرض هام داخلى طريق الشمال الشرقى يؤدى الى قناة السويس .

والطريق الثانى القادم من الشمال الافريقى ومالطة يؤدى مباشرة الى الاسكندرية ثانية المدن المصرية .

وطريق الجنوب عبر البحر الأحمر يؤدى الى خليج السويس ثم الطرق العديدة التى تربط شاطئه الغربى بوادى النيل من القاهرة حتى أسوان الهامة .. الرمز الذى تبنيه مصر لمستقبلها الصناعى ..

ومن أى طرق من الطرق الثلاثة عند نهايته القاهرة .. العاصمة السياسية لمصر ..

هذه هى الصورة المعقدة التى أحاطت بمصر فى الأسابيع الأولى للتأميم .. بينما كانت الحشود البريطانية والفرنسية المتجهة الى قبرص ومالطة تستدعى ضرورة أن تفكر مصر فيما يجرى حولها . وان تتخذ وضعاً مناسباً لتكون مستعدة أمام احتمال تحول صيغة تهديدات ايدن وموليه الى عمل مسلح مباشر ضدها .

البحث عن إجابة

تحت تأثير هذا المناخ السياسى والعسكرى المحيط بمصر ... بدأت القيادة العامة للقوات المصرية تعد تقدير الموقف .. وتعيد مراجعة خططها على ضوء ما يجرى حول مصر .

فى هذا الصدد اتخذ تفكير القيادة المصرية أسلوب رحلة هادئة تقيس كل الاحتمالات .. وتضع أمامها أسئلة محددة .. تبدأ بسؤال ثم تبحث له عن إجاباته الحقيقية المؤكدة لتنتقل الى سؤال آخر يسلمها الى سؤال ثالث .. ولقد كانت رحلة استطلاع الواقع - كما يحيط بمصر فى ذلك الوقت - رحلة شاقة صادفتها عشرات التساؤلات ..

ولقد كان السؤال الذى يبدو كمقدمة لتقدير ماذا تكون عليه الخطط المصرية ، هو محاولة تقدير الاتجاه الذى ستعرض منه مصر للغزو وقد كان تقدير اتجاه الغزو يعتمد على عامل آخر هو تقدير القوات البريطانية والفرنسية التى يمكن أن تخصصها لحملة غزو مصر . فعلى قدر القوات البريطانية الفرنسية فى قواعد البحر المتوسط القريبة من شواطئ مصر كان يتوقف اتجاه حملة الغزو كما قدرت القيادة العامة المصرية وقتها .

ولذلك كان السؤال أمام القيادة المصرية .. ما هى القوات .. البريطانية والفرنسية المتوفرة فى قواعد شرق البحر المتوسط ؟ ..

وجاءت الإجابة اعتمادا على مذكرة قدمتها المخابرات الحربية المصرية .. ومن خلال المذكرة وضحت صورة القوات القريبة من مصر كالآتى :

فرقتا مشاه بريطانية واللواء المدرع الفرنسى السابع ولواء مظلات من الفرقة العاشرة الفرنسية .. وهذه القوات الجاهزة للعمل .. لكن يمكن تدعيم هذه القوات بتعزيزات بريطانية أخرى تتضمن مجموعة لواء مظلات تأتى من الجيش الاقليمى فى بريطانيا نفسها ومعها مجموعة لواء مظلات .. كما يمكن لبريطانيا تدبير فرقة أو فرقتى مشاه تحتفظ بهما فوق الجزر البريطانية وترسلهما الى البحر المتوسط .. ومن المانيا يمكن استدعاء فرقة مدرعة من قواتها هناك لتخدم حملة الغزو ..

وفى محاولة التقدير خرجت القيادة المصرية بنتيجة أخرى وهى انه يمكن لكل من بريطانيا وفرنسا تعزيز قواتهما الجوية والبحرية فى شرق البحر المتوسط بسرعة .. وان كان مدى امكانية تجميع الطائرات لحملة مصر يعتمد على قدرة القواعد على استقبالها ..

وكحقيقة يجب ادراكها .. فعندما أجرت القيادة المصرية تقديرها للقوات البريطانية والفرنسية الممكن تجميعها للخدمة في حملة مصر .. هنا لم تغفل القيادة المصرية ادخال اسرائيل في حسابها للقوى الممكن أن توجه لمصر . ولم تغفل أن اسرائيل يمكن أن تؤدي دورا أو خدمة لحملة غزو مصر .

وطبقا للنص الحرفي ، لتقدير القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية للموقف وفيما يختص بتقاريرها لما يمكن لاسرائيل المساهمة به .. في حملة مصر .. جاء النص الآتي في البند (هـ) :

« من المحتمل تعزيز الطاقة العسكرية للقوات البريطانية - الفرنسية بتدخل اسرائيل في العمليات ضد مصر وسوريا بتقديم التسهيلات الميسورة في أراضيها لخدمة القوات الانجليزية - الفرنسية وبالسماح لها بالمرور عبر هذه الأراضي » .

الإطار الكبير

لكن لم يكن هذا هو كل تحليل القيادة المصرية للدور الذي يمكن أن تلعبه اسرائيل ..

وكتحفظ أساسى هنا .. لابد أن يكون واضحا أن التقدير لم يكن يتناول نوايا اسرائيل بصفة خاصة .. بل ذهب كل البحث في إطار أكبر هو تقدير ما ستكون عليه التهديدات البريطانية الفرنسية الموجهة ضد مصر .. ومن خلال هذا التقدير تمثلت اسرائيل جانبا من الصورة لكنها ليست كل الصورة ..

ولقد كانت محاولة تقدير القوى البريطانية الفرنسية نقطة بدء لمحاولة تصوره القيادة المصرية لاتجاه ربح الحرب التى ستهب على مصر .. وعلى ضوء هذا التقدير بدأت القيادة المصرية فى اجتماعها فى سبتمبر عام ١٩٥٦ تقيس فى دقة مدى الخطوات العسكرية التى يمكن لبريطانيا وفرنسا الاقدام عليها ..

وهنا اتجه التقدير العسكرى المصرى الى طرح أسئلة جديدة .. ماذا يمكن لبريطانيا وفرنسا عمله بفرقتى المشاة واللواء المدرع ولواء المظلات الموجودة لديها فعلا فى قواعد شرق البحر المتوسط ؟ .. هل يمكنها تدعيم هذه القوات سريعا ؟ .. والى أى حد يمكنها تدعيم هذه القوات ؟ وكم يستغرق هذا التدعيم ؟ ..

ثلاثة احتمالات

وفي محاولة الاجابة على هذه التساؤلات وجدت القيادة المصرية انها أمام احتمالات مختلفة ..

الاحتمال الأول :

أن تقوم بريطانيا وفرنسا بالهجوم على مصر بالقوات الجاهزة فعلا في القواعد القريبة شرق البحر المتوسط .. وهنا يمكن للحملة البريطانية الفرنسية أن تحقق بعض الأهداف :

أولا : يمكن للبحرية البريطانية الفرنسية عزل مصر على طول شواطئ البحر الأحمر والبحر المتوسط بواسطة حزام بحرى .. تمنع عنها أى اتصال بما حولها .

ثانيا : ستتعرض مصر لاغارات جوية شديدة تستهدف فيها الطائرات البريطانية والفرنسية تدمير سلاح الطيران المصرى .. والتأثير على معنويات الشعب المصرى .

ولكن برغم هذه الظروف التى ستصاحب الاغارات الجوية والحصار البحرى .. فقد قدرت القيادة العامة للقوات المصرية أن الحملة بقوة فرقتي مشاه ، ولواء مدرع ، ولواء مظلات لا يمكنها القيام بغزو لمصر .. وانما يمكن لهذه القوة أن « تحقق هدفا محدودا » ..

وعند بحث هذا الاحتمال الأول .. قدرت القيادة الصرية ادورا لاسرائيل لمساعدة الحملة على مصر وهى تواجه الجيش المصرى ، فقد قدرت أن اسرائيل يمكنها أن تشد جزءا من جيش مصر مبعدة اياه عن طريق الحملة .. كما قدرت أن اسرائيل يمكنها أن تساعد الحملة بأن تقدم لها مبرر تدخلها ضد مصر .

وينص مافى التقدير المصرى عن هذا الاحتمال الخاص بدور اسرائيل جاء فيه :

« يمكن فى هذه الظروف استغلال الطاقة العسكرية الاسرائيلية لاجتذاب قسم من الجهود العسكرية المصرى وتشتيته ، وخلق المبرر الكافى لتدخل القوات الانجليزية الفرنسية تدخل حاسما سريعا » .

أما الاحتمال الثانى : الذى قدرته القيادة المصرية .. فهو محاولة بريطانيا وفرنسا حشد قوات كبيرة ، لتحاول تدمير القوات المسلحة المصرية

.. وخرجت القيادة المصرية وهى تقدر هذا الاحتمال بالنتيجة الآتية :

« انتظار الدولتين الغربيتين حتى اتمام هذا الحشد (الحشد الكامل لقواتهما) قد يفوت الفرصة للقيام بعمل مفاجيء كما يعطى الفرصة لمصر لاحكام تدابيرها » .

ويبقى الاحتمال الثالث :

عند هذا الاحتمال قدرت القيادة المصرية امكان تحرك حملة مصر بما لديها من قوات برية فى قواعد شرق البحر المتوسط لتحقيق فى مصر « هدفا استراتيجيا » .. بينما هى تقوم فى نفس الوقت بحشد قوات اضافية تلحق بالحملة من بريطانيا و المانيا .. وبينما تكون القوات الأولى قد بدأت عملياتها على شواطئ مصر .. تأتى القوات الاضافية خلفها تدعمها حتى تكتمل محاولة الوصول لهدف الحملة وهو تدمير القوات المصرية .

اما تلك الاحتمالات الثلاثة للهجوم على مصر وهى :

— احتمال الهجوم بالقوات البريطانية والفرنسية المحدودة .. لكن الهجوم لن يحقق الغرض منه وهو تدمير جيش مصر .. وهذا هو الاحتمال الأول .

— ثم الاحتمال الثانى .. وهو الانتظار حتى يتم تجهيز حملة كاملة لضمان تحقيق الهدف المقصود من الغزو .. والذي يعيبه ان عامل الزمن ليس فى صالحه .

— ثم الاحتمال الثالث .. وهو الهجوم بما هو متوافر من قوات ثم دفع قوات اضافية لتعزيزه .

.. هنا اتخذت القيادة المصرية موقفا محددا .. اعتبرت أن الاحتمال الثالث هو أقرب الحلول وأنسبها .. وعند هذا الحد من رحلة البحث عن نوايا حملة الغزو وصلت الى سؤال جديد ..

إذا قامت بريطانيا وفرنسا بالهجوم على مصر بالقوة المحدودة التى لديهما فى شرق البحر المتوسط .. وحركتا فرقتى المشاة واللواء المدرع ولواء المظلات .. ثم دفعت خلفهما قوات أخرى تأتى من المانيا والجزر البريطانية كمحاولة للسيطرة على عامل الزمن وكسب الوقت .. فمن اين سيبدأ هذا الغزو؟..

ان هناك أكثر من طريق يمكن للغزو أن يأتي منه .. وهناك أكثر من خدمة يمكن أن تدبر إصر للإيقاع بجيشها .

— هناك اتجاه الاسكندرية .. اليها تتجه حملة الغزو ..

— وهناك القناة نفسها بكل ما فيها من اغراء يمكن أن يشد حملة الغزو ، ويحفز بريطانيا وفرنسا على توجيه الغزو اليها .

مزايابورسعيد

في تحليل القيادة المصرية لمزايا اتجاه حملة الغزو الى القناة . من وجهة نظر بريطانيا وفرنسا .. في هذا التحليل قدرت القيادة أن غزو القناة سيحقق للحملة عدة مزايا .

ان حملة الغزو ستحصل على « أنسب قاعدة » (عند القناة) فيها تجمع قوات الغزو وتعيد تنظيمهم للهجوم على القاهرة .. هذه هي أولى المزايا ..

واستيلاء الحملة على منطقة القناة ، سيجعل مطارات القناة تحت سيطرتها .. وهذا يجعل الطيران البريطاني الفرنسي يجد مطارات لمساعدة الحملة وهي تتحرك نحو القاهرة في المرحلة الثانية للغزو .. وهذه ميزة ثانية لغزو القناة .. تترتب عليها ميزة ثالثة لصالح الغزو نفسه .. فالطيران المصرى سيحرم من هذه المطارات .

ثم ميزة رابعة .. ان حملة الغزو ستجد عند منطقة القناة امكانيات جديدة تزيد فعاليتها وقوتها .. فعند القناة ستجد المخازن البريطانية التى تركتها بعد الجلاء .. وبها سيارات وبنزين وذخيرة .. وكل هذه الامكانيات ستوضع فى خدمة الحملة .. ولن تضطر الحملة الى النظر خلفها الى شاطئ البحر المتوسط تنتظر وصول الامدادات لها من بعد عدة مئات الكيلو مترات .. من قبرص ومالطة .. انها ستجد كل طلباتها تحت يديها فى مخازن القناة .

إسرائيل دائماً

لكن لم تكن هذه المزايا الثلاث هى كل ما ستحققه حملة الغزو لنفسها لو اتجهت الى القناة مباشرة . فدائماًو خلال تحليل القيادة المصرية ناظرة لخريطة مصر بين دول الشرق الأوسط .. فى محاولتها كانت ترى ما يدور وراء مياه البحر المتوسط بعين .. بينما « العين الأخرى » على إسرائيل .

وحتى عندما درست القيادة المصرية احتمال غزو مصر من اتجاه بور سعيد وضعت دائما في ذاكرتها أن اسرائيل قد يسند لها دور على مسرح الحرب المتوقعة .. لتحتل الحملة الغازية ميزة رابعة لها وهى استخدام اسرائيل « كطعم » يشد انتباه القاهرة ويجعلها ترسل جزءا من جيشها الى سيناء تحت تأثير عمليات حربية تقوم بها اسرائيل عبر سيناء .. وهنا يمكن لاسرائيل اخلاء الطريق أمام الحملة من بعض القرى المصرية المقاومة ..

ولذلك فعند مناقشة القيادة المصرية لهذا الاتجاه الذى قد يسلكه الغزو بادئا ببور سعيد .. هنا ذكرت هذا الدور المقترح لاسرائيل لمساعدة الغزو البريطانى الفرنسى ، متخيلة اياه خلال تحليلها .

« عزل قواتنا فى الجبهة الشرقية (سيناء) وعلى الاخص فى حالة تعاون القوات الاسرائيلية ونجاحها فى اجتذاب قسم من قواتنا اليها .
هكذا صراحة ومنذ سبتمبر لم تنس القيادة العامة المصرية أن اسرائيل وراء خط الهدنة .. وانها قد تقوم بدور انتهازى خلال جو الحرب الذى يقترب من مصر ..

وايضاحا للحقيقة والتزاما بما حدث واقعيا خلال تلك الأيام التى تنتظر فيها مصر تحرك الغزو .. فلم تكن كل الصورة واضحة تماما .. وانما كانت المحاولة مجرد محاولة لتقدير ما يمكن أن تفعله بريطانيا وفرنسا ضد مصر .. ثم ما يمكن لاسرائيل أن تشارك به عندما تثار أعيرة الحرب ..

لكن برغم ذلك كله فقد مست المحاولة أرضا حقيقية .. لم تكن مرحلة التقدير مجرد بحث بلا قواعد وانما جرت المحاولة تكتشف المجهول المحيط بمصر تستند الى كل ما لدى مصر من معلومات جمعتها ، وبكل قواعد العمل العسكرى .

لقد كان هناك احتمال قدوم الغزو على اتجاهين .. جزء من الحملة يتجه الى الاسكندرية .. وجزء يتجه الى بور سعيد .. وهذا الاحتمال الثالث لاتجاه الغزو لم يسقطه تقدير القيادة العامة المصرية من اعتباره .. بل أعطاه جزءا من النقاش .. وبنيت جميع كل هذه الاحتمالات لاتخاذ موقف — ماذا يكون عليه موقف القوات المسلحة المصرية ؟

وكان يسبق هذا السؤال .. سؤال آخر يقود اليه كل التحليل .. وهو :

— وماذا تريد حملة الغزو من مصر ؟
وجاءت الاجابة .. تدمير القوات المسلحة المصرية باعتبارها السند
الايجابى للسياسة المصرية ..

وقادت هذه الاجابة الى سؤال ثالث لاحق ..
— وكيف يمكن منع بريطانيا وفرنسا من تحقيق هدفهما ؟
عند هذا الحد من التحليل ظهرت خطوط سياستنا الدفاعية فى الفترة
التالية للتأميم .. وتحول تقييم الموقف الى محاولة لاتخاذ موقف وقرار .

قرارات مصرية

وصدر قرار القيادة العامة المصرية .. واعتبرت القيادة المصرية أن
الخطر الذى تتعرض له مصر .. هو خطر متجه نحو أرضها مباشرة الى
قلب مصر .. ولذلك يعتبر التهديد الانجليزى الفرنسى لمنطقة القناة
والدلتا هو التهديد الرئيسى لسلامة الجمهورية .

كان هذا هو قرار مصر .. ولم تكن الحملة البريطانية الفرنسية قد
تحركت ضد مصر بعد ولم تكن المدن المصرية قد تعرضت للاغارات الجوية
.. فقد كان الزمن وقت صدور القرار مازال بداية سبتمبر .

ومن هذا الاحساس بالخطر الحقيقى أصدرت القيادة المصرية عدة
قرارات أخرى ..

— أمام الخطر خطر وقوع القوات المصرية فى فخ سيناء قررت
تخفيف قوات سيناء الى الحد الذى لا يفرى اسرائيل بالهجوم بطبيعتها
الانتهازية .

— وأمام الخطر الموجه لقاب مصر عبر القناة والدلتا قررت القيادة
المصرية حشد القوات الرئيسية فى مواجهة الأماكن المعرضة للغزو واعتبار
المثلث الممتدة اضلاعه بين بور سعيد - السويس - القاهرة ، هو منطقة
المجهود الرئيسى للقوات المسلحة .

— وأمام خطر الهجمات الجوية العنيفة على المطارات المصرية ..
قررت القيادة المصرية توزيع الطائرات المصرية على أكبر عدد من القواعد
.. لكن مع الاحتفاظ بامكانية جمعها لتوجيهها لضرب أى محاولة للغزو .

تلك صورة سريعة لأفكار القيادة العامة المصرية قبل أن تلقى إسرائيل مظاهراتها عند ممر ميتلا وقبل أن تحلق النفاثات البريطانية فوق مصر ..
لقد كانت مصر تنتظر الغزو البريطاني الفرنسي وهي ترى ما يجرى وراء البحر المتوسط بعين .. وترى ما يجرى وراء خط الهدنة مع إسرائيل بالعين الأخرى .

* * *

اذن ، لم تكن جوانب الصورة ضائعة وليست معلومة .. ولم يغيب عن قيادة جيش مصر من أين سيأتى الخطر .. ولم يغيب عنها أيضا احتمال قيام إسرائيل بشيء ما لخدمة الغزو وانتهاز الفرصة ..

هذه هي الحقيقة كما يظهرها تقرير القيادة المصرية الذى صدر فى ٦ سبتمبر عام ١٩٥٦ .. فى تاريخ يسبق تاريخ الغزو بشهرين ..

وكما توقعت القيادة المصرية بدأت إسرائيل تحاول اجتذاب جزء من جيش مصر الى سيناء ، محاولة اخلاء الطريق أمام الحملة البريطانية الفرنسية ..

وتبعها الغزو .. وكانت الحرب ..

واحد إلى عشرة

لكن تلك الحقيقة التى اكتشفت ان الخطر موجه لقلب مصر نفسها .. ترتبت عليه حقيقة أخرى . فان الاهتمام بالدفاع عن قلب مصر . يجعل القيادة المصرية تخفف قواتها بسيناء مرة أخرى علاوة على ما تم سحبه خلال شهر أغسطس لمواجهة التهديدات البريطانية وتحريكها الى داخل مصر لمواجهة الخطر .. ولذلك فعندما تحركت إسرائيل تهاجم سيناء .. لم يكن لمصر لحظة بدء العدوان فى الساعة الخامسة من يوم ٢٩ أكتوبر سوى قوات محدودة تتكون من ٨ كتائب مشاة وكتيبة دبابات من طراز قديم و ٣ كتائب ونصف كتيبة مدفعية .

وبمقارنة بسيطة ..

كان كل جندى مصرى بسيناء يواجه أكثر من ٤ جنود إسرائيليين .. وكل دبابة مصرية عليها مواجهة ١٠ دبابات اسرائيلية ..

وليس المقصود من هذه المقارنة سوى توضيح لجوانب الموقف عبر رمال سيناء لحظة بدء العدوان ..

ولقد كان لدى قيادة سيناء المصرية خطتها التى أسندتها إليها القيادة العامة منذ سبتمبر ..

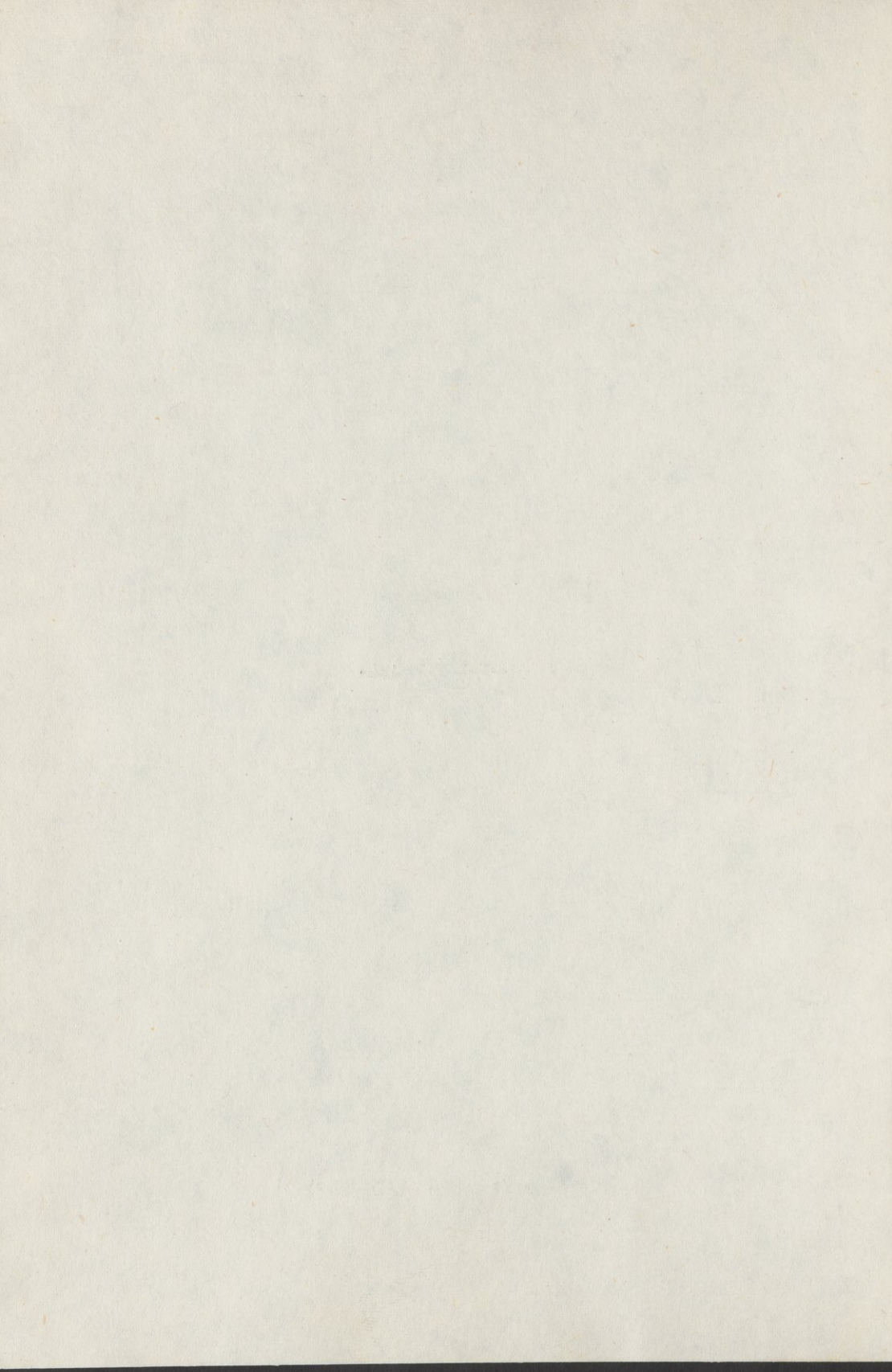
وطبقا لتعليمات القيادة العامة المصرية كان على قوة سيناء القيام بمهمة أساسية وهى :

— استنزاف القوات الاسرائيلية الى أبعد مدى ومنعها من الحصول على أية مكاسب استراتيجية .. حتى ولو لم تصلها معونة برية فعالة .. بل لقد وضعت قيادة سيناء فى وضع يمكن معه سحب عناصر أخرى من قواتها الرئيسية فى منطقة القناة اذا استدعت الظروف ذلك ..

* * *

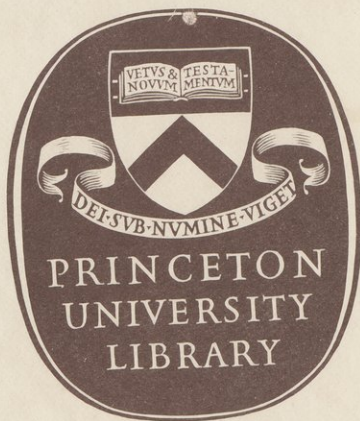
على ضوء هذه الخطة التى رسمتها القيادة العامة المصرية لقيادة سيناء .. وعلى ضوء ما حدث بعد هروب يوم ٢٩ أكتوبر فوق رمال سيناء هل نجحت قوة سيناء فى القيام بمهمتها وبواسطة قواتها المحدودة أمام تفوق اسرائيل تفوقا ظاهرا ؟ .. هل منعت اسرائيل من تحقيق مكاسب داخل سيناء ..

تساؤلات تجيب عنها المعركة .. وهذه كانت قصة الحرب .



مصلحة الاستعلامات
المتاهرة

الاتحاد الاشتراكي العربي « دار ومطابع الشعب »



(Arab)

DT107

.83

.A3915

Princeton University Library



32101 073528125

وزارة الارشاد القومي
مصلحة الاستعلامات